سلسلة الدراسات الآثارية 1

العمارة والفنون في مدينة سواكن التاريخية

ودورها في فهم الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية

د.عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

(الطبعة الأولى
2023م)

العمارة الفنون في مدينة سواكن التاريخية ودورها في فهم الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية - د.عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات الآثارية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات والبحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

العمارة والفنون
في مدينة سواكن التاريخية

ودورها في فهم الأوضاع السياسية
والعسكرية والاقتصادية والثقافية

د.عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

قسم الاثار - جامعة الخرطوم

الطبعة الأولى 2023م

الكتـاب : العـمارة والفنـون في مدينـة سـواكن التاريخيـة ودورهـا في فهـم الأوضـاع السـياسي والعسـكرية والاقتصاديـة والثقافيـة

تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2023م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والدار.

إن دار إريثيريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن أراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

جوال : 00249910785855 - 00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

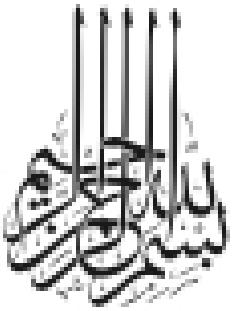

الآية

مقدمة :

يتناول هذا الكتاب تاريخ وآثار فترة مهمة من تاريخ السودان-الفترة الاسلامية- في منطقة تعتبر احدى أهم بوابات دخول الاسلام بلاد السودان وهي منطقة سواكن. وهي من الفترات التي لم تنل حظها الوافر من الدراسة، عدا القليل من الكتابات. ويحاول الكتاب إبراز أهم آثار وتاريخ تلك الفترة الموجودة في سواكن والتي تضم الارض الساحلية، الجزيرة وجزيرة أخرى تعرف بالكنداسة. كما يشتمل الكتاب يعمل الكتاب على ابراز أنواع العمارة الاسلامية الموجودة بها مثل التحصينات، المساجد، الخلاوي، الزوايا والمنازل. والتعريف بهذه الفترة وتلك المنطقة وتأثير ذلك علي فهم الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية كذلك.

الموقع:

تقع سواكن على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر على خط 7 19ه شمالا و20 37ه شرقا. وتربط سواحل البحر الأحمر بالسودان وافريقيا، حيث تبعد على نحو 730 ميلا شمالاً إلى السويس و300 ميل شمال شرق إلى جدة و385 ميل شمال مصوع وعلى بعد 349 ميل شمال عيزاب.وتبعد حوالي33 ميل جنوب ميناء بورتسودان الحالي، وتعد من الموانئ المهمة للتجارة علي الساحل الشرقي مثل ميناء العقبة في الأردن وجدة وينبع في السعودية ومخا والحديدة في اليمن، كما تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عيذاب في السودان ومصوع في اريتريا وراس بنياس والقصير في مصر (ضرار:1982:25).

تتكون سواكن من ثلاثة أجزاء متكاملة، الجزء الأول منها يقع علي الأرض الساحلية- أو ما يعرف بالقيف-، أما الجزء الثاني وهو الجزء الرئيسي(main land) يقع داخل الجزيرة ويبلغ محيطها حوالي 2500 متر تقريبا، والجزء الثالث فهو جزيرة تعرف محليا باسم الكنداسة(الكوندنسرCondenser) ذلك بسبب وجود مكثفات لصناعة الملح، كما كانت تستخدم لربط السفن وبعض الأعمال الإدارية (حسين وطه:3:2010).

صورة جوية رقم (1)

صورة جوية لجزيرة سواكن (Google earth)

شكل رقم (1)

مخطط لجزيرة سواكن

عرَفها المؤرخون المسلمون فقال عنها « المسعودي « جزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البر الحبشي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجة تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك. وقال ياقوت الحموي (سواكن بلد مشهور على ساحل البحر الجار قرب عيزاب ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من جدة) كما ذكرها ابن بطوطة والقلقشندى وغيرهم (القمر: 1997 : 157).

ومن خلال نصوص المؤرخين المسلمين مثل المسعودي وياقوت الحموي تبين أهمية سواكن كمركز تجارى مهم على البحر الأحمر الذي كان يشهد حركة تجارية واسعة بسبب ما تذخر به المنطقة من معادن الزمرد والذهب مما زاد من أهميتها التجارية، إضافة إلى ما أحدثته حركة الحجيج من نشاط في الموانئ الغربية للبحر الأحمر.

صورة رقم (1)تصوير الباحث
منظر عام للجزيـــــــــرة

نشـــأة سواكـــن:

هنالـك عـدة اراء وخلافـات حـول كيـف ومتـي نشـأت سـواكن، والثابـت أنـه لم يتـم تحديـد تاريـخ معـين أو محـدد لنشـأة المينـاء والمنطقـة، وحيـث أنهـا كغيرهـا مـن مـدن المـؤاني التـي تنشـأ عـلي خرافـات قديمـة وأسـاطير، وأنهـا خاليـة مـن السـكان وليـس فيهـا الا الجن.ومـن تلـك الأقـوال مـا روي عـن سـيدنا سـليمان عليـه السـلام بأنـه قـام بسـجن عـدد مـن الجـن في جزيـرة سـواكن لاقـتراف (الجـن) بخطايـا وكانـت عقوبة سـيدنا سـليمان بنفيهم الي سـواكن وسـجنهم هنـاك، وأن الاسـم أصـلا حـرف مـن (سـواجن) عـلي تسـمية سـيدنا سـليمان لسـجنه الجـن هنالـك الي سـواكن الان. وبعضـا مـن المؤخـين يدعـون أن قصـة الجـن والجـواري هـذه وسـجنهم في سـواكن كانـت مـع الملـك خـسرو باشـا (العراقـي:2013:169).

ومـن الاراء الأخـري حـول مسـمي سـواكن، نجـد أن اسـم سـواكن يتكـون مـن مقطعـين (سـيوا-خن) وهـذا المقطـع في اللغـة المصريـة القديمـة (الهيروغلوفيـة) يعنـي حظـيرة الصيـد، ذلـك لأن سـواكن كانـت قديمـا وفي عهـد البطالمـة (بطليمـوس فيلادلفـوس285ق.م-246ق.م) مسـتودعا للعـاج، حتـي يتـم تصديـره الي مـصر. كـما ذكـر الشـاطر بصيـلي أن سـواكن تعنـي في اللغـة الهنديـة المدينـة البيضـاء. أمـا اسـمها عنـد البجـا فهـو (اوسـوك) أي السـوق، لأنهـا كانـت سـوقا لهـم (ويقـال كانـت سـوقهم الوحيـدة في كل باديـة البجـا) (بـدوي:2013:239).

البيئة الطبيعيــة :

تتميـز شـواطئ البحـر الأحمـر بمنـاخ البحـر الأبيـض المتوسـط (وهـو منـاخ حـار في الصيـف وجـاف ودافـئ ذو أمطـار شـتوية) خاصـة عـلى سـواحله الغربيـة. أمـا إلي الداخـل فيتنـوع المنـاخ حيـث نجـد طبيعـة صحراويـة في الشـمال، والتـي لا تخلـو مـن جهـات يغـزر نباتهـا في بعـض فصـول السـنة ويتنـوع فيهـا المطـر بعـد الصيـف والشـتاء، هـذا عـدا الأنهـار التـي تجـرى مياههـا في بعـض أجـزاء منهـا مثـل خـور بركـة والقـاش وعطـبرة، مـع التسـليم بـأن النصـف الشـمالي شـديد الجـدب لكـن يخفـف مـن جديـد انتشـار الآبـار في مختلـف أنحائـه (عـوض: 1956 :20). اضافـة الي وجـود بعـض أنـواع النباتـات والحيوانـات في المنطقـة، أكثرهـا الاسـماك والشـعب المرجانيـة.

هـذا المنـاخ السـاحلي كـما هـو معلـوم يتطلـب نوعـا معينـا مـن البنـاء (تميـزت بهـا منطقـة سـواكن) تختلـف عـن باقـي المناطـق الأخـرى خاصـة الصحـراء، وهـو بنـاء يقـوم بجـذب هـواء البحـر البـارد ويجعلـه يـدور بحريـة تامـة داخـل البنـاء (المنـازل) ويقـوم بإخـراج وطـرد الهـواء السـاخن مـن داخـل البنـاء وإبعـاد ضـوء الشـمس. وقـد تطور أسـلوب البنـاء عـلي سـاحل البحـر الأحمـر ليقابـل هـذه الاحتياجـات، لـذا نجـد المنـازل التـي تتكـون مـن طابقـين أو ثلاثـة تقطعهاالمشربيـات، ونجـد كذلـك النوافـذ المفرعـة، والأسـطح المجهـزة للنـوم (Soghayroun:2004:97).

الســكان :

أشـار نعـوم شـقير إلي البوانيـت (Puanit) باعتبارهـم أقـدم سـكان المنطقـة الذيـن قطنـوا مابـين طريـق بربـر وسـواكن وجبـال الحبشـة، حيـث ورد بأنـه في أيـام الدولـة المصرية (3064-2851 ق.م) أرسـل أحـد ملوكهـا إلى بـلاد البوانيـت بطريـق قفـط والقصـير لجمـع الجزيـة مـن أمـراء تلـك البـلاد، حيـث سـار بالبحـر الأحمـر حتـى وصـل بـلاد البوانيـت (ضرار: دون تاريـخ:26).

ومـن أشـهر الجماعـات التـي تسـكن هـذه البيئـة القاسـية هـم جماعـات البجـة، وقـد نظمـوا حياتهـم عـلى المنـوال الـذي تعرضـه خصائصهـا الطبيعيـة، فأصبحـوا جـزءاً لا يتجـزأ منهـا وينقسـم البجـة إلى أقسـام أربعـة:

- البشـاريون في الشـمال وفى تلـك البيئـة الجبليـة الصخريـة القليلـة المـاء

والـكلأ، كـما يحتلـون معظـم صحـراء العتبـاى.

- يليهـم مـن الجنـوب الامـرأر ويمتـدون بانحـراف في اتجـاه مـن الجنـوب الغـربي في مسـار عـلى الخـط الحديـدي إلى الشـمال الشرقـي في اتجـاه بورتسـودان.
- ويليهـم جنوبـا الهدنـدوة وهـم أكـثر مـن البجـة في السـودان عـدداً، و ويمتـدون مـن سـواكن إلى سـنار.
- أخـيراً جماعـة البنـي عامـر إلى الجنـوب الشرقـي، ويمتـدون مـن طوكـر شـمالاً إلى حـدود اريتريـا في الجنـوب.
- وهنالـك جماعـات أخـرى مثـل الأشراف، الارتيقـا، الكميـلاب والحلنقـة (عوض:المصـدر المذكـور:26).

أما أهـل سـواكن – كأهـل البحـر الأحمـر جميعـا – أخـلاط مـن النـاس، إلا أننـا نلحـظ أن الأسر الكبـيرة كانـت مـن عـرب حضرمـوت (الحضارمـة – الحداربـة) أمـا الآخـر فيسـمون «سـواكنية». ويدخـل في هـؤلاء السـواكنية عـدد كبـير مـن القبائـل مثـل البـدو والهدنـدوة والبشـاريين والامـرأر وغيرهـم مـن أصـول عربيـة تركيـة، ويختلـط هـؤلاء البـدو بالحداربـة (بروكهـا ردت:1959:343).

سـواكن في كتابـات الرحالـة والمؤرخيـن العـرب:

تـاتي أهميـة هـذه الكتابـات في أنهـا تبـين لنـا مجمـل الأوضـاع السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة لمدينـة سـواكن.فالناظر الي تلـك النصـوص والكتابـات يـري أنهـا جمعـت مـن موسـوعات ورحـلات وكتـب جغرافيـا وتاريـخ وغيرهـا.

مـن أولي هـذه الكتابـات التـي ورد فيهـا ذكـر لمدينـة سـواكن مـا نجـده عنـد ابـن حوقـل (ت.350هـ-961م) في كتـاب صـورة الأرض الجـزء الأول:(...وتحـاذي سـواكن بطـون تعـرف برقابـات وحنديبـا، وهـم خفـراء عـلي الحدربيـة وخفارنهـم لعبـدك وهـم تحـت يـده. وعبـدك خـال ولـد أبي بكـر اسـحاق بـن بـشر صاحـب العلاقـي...) (مسـعد:1972:72).

كـما وصفهـا ياقـوت الحموي(ت.626هـ-1229م) في كتابـه معجـم البلـدان1 قائـلا: (سـواكن: بلـد مشـهور عـلي سـاحل بحـر الجـار قـرب عيـذاب، ترفـأ اليهـا سـفن الذيـن يقدمـون مـن جـدة وأهلهـا بجـاة سـود نصـاري) (مسـعد:المصدر السـابق:164).

ووصفهـا كذلـك الرحالـة العـربي المشـهور ابـن بطوطـة (ت.779هـ-1377م) في كتابـه تحفـة النظـار في غرائـب الأمصـار وعجائـب الأسـفار قائـلا: (..وبعـد يومـين مـن مسـيرنا وصلنـا الي حـي مـن العـرب يعرفـون بـأولاد كاهـل مختلطـين بالبجـاة، عارفـين بلسـانهم. وفي

ذلك اليوم وصلنا الي جزيرة سواكن، وهي علي نحو ستة أميال من البر، ولا ماء بها ولا زرع ولا شجر، والماء يجلب اليها في قوارب، وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر، وهي جزيرة كبيرة، وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش، والمعزي عندهم كثير والألبان والسمن، ومنها يجلب الي مكة، وحبوبهم الجرجور، وهي نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضا الي مكة) (مسعد:المصدر السابق:255).

أيضا ذكرها العمري (ت.749هـ-1348م) في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار قائلا: (.. وسنذكر ما وقع من هذا الاقليم من الجزر في البحر الهندي. فمن ذلك ما وقع في (بحر) القلزم الخارج منه. فمن ذلك: جزيرة كمران، وجزيرة دهلك، وجزيرة سواكن. وليس بها مملكة مشهورة ولا متاجر مذكورة وكل أهلها مسلمون قائمون بالاسلام، وتجلب منها الي مصر أغنام حسان يقتني بها للفرجه لا للأكل والنتاج. وكان لدهلك ذكر زمان أبي السداد مالك بن أبي الفياض، وكان يميل الي الانشاء والانشاد. وهو الذي قصده الأعز بن قلاقس ومدحه. وأما سواكن ففيها الشريف زيد بن أبي نمي الادريسي الحسني (وهو) في طاعة صاحب مصر) (مسعد:المصدر السابق:246).

كذلك من الرحالة والمؤرخين العرب الذين قاموا بذكر مدينة سواكن نجد المقريزي (ت.845هـ-1445م) في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار قائلا: (..وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل، وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض. وأهلها طائفة من البجه تسمي الخاسة، وهم مسلمون ولهم بها ملك) (مسعد:المصدر السابق:295).

الي جانب ذلك نجد العديد من الرحالة والمؤرخين العرب الذين وصفوا أو ذكروا مدينة سواكن في مواضع أخري ومصادر غير متوفرة، منهم علي سبيل المثال الهمداني (280هأ-336هـ/893-947م). وابن سعيد (610هـ-685هـ/1214-1286م) والذي تحدث عن نشاطها التجاري. والعيني (ت762هـ-855هـ/1361-1451م). والسخاوي(ت.831هـ-902هـ/1428-1497م) الذي أورد كثيرا من المعلومات عن التجار ومساهماتهم في نشاطات أخري غير التجارة وشهرة بعضهم في المجالات العلمية خاصة المدارس الاسلامية الكبري في مكة والقاهرة ودمشق، وقد زار بعضهم سواكن من أجل التجارة ومنهم من تزوج وأنجب فيها، بل توفي ودفن بها (الياس:58:2013).

خلفية تاريخية:

منذ فجر التاريخ كان البحر الأحمر طريقاً عالميًا للتجارة، وقد ازدهرت الموانئ فيه خصوصاً في شاطئه الغربي مثل باضع وعيزاب وسواكن ومصوع.

ومن هذه الموانئ نجد ميناء سواكن، وهو ميناء مهم ومعروف منذ قديم

الزمـان، حيـث اتخـذه قدمـاء المصريـين (المملكـة المصريـة القديمـة2635-2570 ق.م، والمملكـة المصريـة الحديثـة (1550-1305ق.م) كقاعـدة لأسـطولهم التجـاري الـذي كان يرتـاد ثغـور البحـر الأحمـر والمحيـط الهنـدي لتسـهيل سـبل التجـارة بـين بـلاده والـشرق الأقـصى خاصـة في عهـد رمسـيس. وقـد أشـارت الملكـة حتشبسـوت الي أنهـا أرسـلت حملـة الي بـلاد بونـت جنـوبي سـاحل البحـر الأحمـر المـصري. وعندمـا اسـتولى البطالسـة عـلى مـصر أرسـل بطليمـوس الثـاني البعثـات لاستكشـاف سـواحل البحـر الأحمـر، وعندمـا وصـل سـواكن أعجـب بموقعهـا وتـم احتلالهـا، وأقامـوا محطـات تجاريـة عـلي الموانـئ السـاحلية السـودانية، والتـي كانـت تقـوم باسـتيراد أنـواع مـن الحيوانـات مـن القـارة الافريقيـة لملـوك البطالمـة، كـما كانـوا يطلقـون عليهـا (ايفـان جلـون بورتـس-Evangeolon Ports).

أمـا في عهـد الرومـان فقـد تضاءلـت أهميـة سـواكن بعـد اسـتيلاءهم عـلى مـصر، عـلي الرغـم مـن أنهـا كانـت احـدي موانئهـا، كان ذلـك بفعـل مـن قبائـل البجـه ووقوفهـا أمـام الرومـان سـدا منيعـا حـال دون وصولهـم لمناجـم الذهـب والزمـرد بـوادي العلاقـي. وبعـد زوال دولـة الرومـان عـلى يـد قائـد المسـلمين في سـنة 20 هــ بـدأ الخـراب يـدب في سـواكن، وعـلى العكـس تمامـا بـدأ العمـران يزدهـر في عيـزاب. وكانـت الطريـق الوحيـد لحجـاج مـصر والمغـرب وكان ذلـك في فـترة حكـم المماليـك لمـصر والشـام. وقـد قـام ابـن سـليم الاسـواني (975-996م) بوصـف سـواكن وربطهـا بكرفـان (شـانكير) بالقـرب مـن بربـر، عـن طريـق بعـض الطـرق. لكـن تلـك الطـرق الان فيهـا مشـاكل، كـما أنهـا هجـرت مـن قبـل النـاس. وخـلال القرنـين العـاشر والحـادي عـشر الميلاديـين- أي خـلال الفـترة المسـيحية في السـودان- كانـت سـواكن نقطـة تجاريـة اسـلامية مهمـة عـلي البحـر الاحمـر، ويمكـن الحديـث بـأن سـواكن ظلـت وحتـي تلـك الفـترة مـن تاريخهـا مـن الموانـئ الصغـيرة غـير المشـهورة، وتعتـبر خدماتهـا محـدودة في تصريـف بعـض السـلع للممالـك المسـيحية، بالاضافـة لمـرور الحجـاج مـن المسـيحيين الي الأراضي المقدسـة في أورشـليم. عـلي كل نجـد أن الـدور التاريخـي لهـذه الموانـئ تشـكل عـلي يـد العنـاصر العربيـة قبـل الاسـلام وبعـده. ومـن خـلال الكثـير مـن الكتابـات المبكـرة نجـد أن الميناء كان مشـتركا بـين التجـار وقبائـل البجـة المحليـين، مـع أن هنالـك كتـاب مثـل المسـعودي (896-956م) وابـن سـعيد (1208-1286م) أشـاروا الي قبيلـة تسمي»الخاسـة» (al-Khasa) جـاءوا مـن قـرب اسـمرا.

هـذه الروابـط المبكـرة مـع وادي النيـل واثيوبيـا أعطـت اشـارة قويـة لأهميـة الميناء، اضافـة الي أن تدهـور عيـذاب واضمحلالهـا في القـرن الخامـس عـشر الميـلادي المبكـر زاد منأاهميـة ميناء سـواكن (ضرار:المصـدر المذكـور:50).

وفي القرن الخامس عشر الميلادي ضعف النظام المملوكي، وكانت التجارة تأتي من مناطق من الهند. وفى عام 1516م (933هـ) اصطدم الأسطول البرتغالي بالأسطول المصري ودارت معركة انتصر فيها الأسطول الأول واستولى على موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي. وبعد استيلاء البرتغاليين على ميناء سواكن، وبعد انتهاء السلطان سليم الأول(1465-1520م) العثماني من فتح الشام، توجه إلى فتح مصر بجيوشه الجرارة ففتحها 1517م. ثم بعد ذلك خرج بأسطوله لتطهير البحر الأحمر من الأسطول البرتغالي الذي كان قاعدته مصوع، اذ وبعد سيطرة الأسطول البرتغالي علي مياه البحر الأحمر وخطورة ذلك علي المناطق المطلة علي سواحله، يمكن أن يشكل هذا النشاط العسكري من تهديد للأراضي المقدسة وعلي شعوب المنطقة ككل، رأي العثمانيين أنه لا خيار لديهم سوي مواجهة البرتغاليين، اضافة لذلك تهديد البرتغاليين لتجارة الشرق والممالك الاسلامية الواقعة في بلاد الهند. لكل تلك الأسباب كان لابد من التحرك لحفظ حقوق المسلمين فحصلت المواجهة الحاسمة وانتصر الأسطول العثماني علي الأسطول البرتغالي واحتل سواكن ومصوع وجدة وغيرها. وعين في كل مدينة موظفا تركيا ينوب عنه ومعه حامية من الجنود وجعل الجميع تحت سلطة والى الحجاز (ضرار:المصدر السابق:32-52).

وفي القرن السادس عشر الميلادي تطورت مدينة سواكن (الميناء) وظهر ذلك في كثير من المباني أو المنازل جيدة البناء. ومنذ ذلك الحين وحتي القرن التاسع عشر الميلادي كانت سواكن خاضعة للأتراك العثمانيين، والذين أنشأوا حامية عسكرية تضم قلعتين صغيرتين، تم بناءهما في الجزء خارج الجزيرة(main land) في القرن السابع عشر الميلادي، استخدمت الأولي كقاعدة للأسطول الحربي العثماني في حربه ضد الأسطول البرتغالي. وفي عام1540م أصبحت القاعدة العثمانية في سواكن تقوم بتزويد الجيوش لغزو إثيوبيا، ومركزا أو «سنجوقية»[1] لايلات[2] الحبش، وبفشل النظام عادوا مرة أخري إلي ايلات مصر.

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت المدينة تحت الحكم التركي المصري، مبدئيا تحت حكم محمد علي باشا، ومن ثم باستمرار وثبات حكمت من قبل الخديوي اسماعيل1765م (ضرار:المصدر السابق:67).

(1) هو التقسيم الاداري للولايات في الامبراطورية العثمانية،بحيث تكون الولاية مكونة من عدة سناجق (مقاطعة – دائرة - مديرية).

(2) هو التقسيم الاداري للولايات في الامبراطورية العثمانية،بحيث تكون الدولة مقسمة الي ايلات (مقاطعات) علي راسها حاكم يدعي باشا.

وازدهـر الميناء مـرة ثانيـة مـع افتتـاح قنـاة السـويس في عـام1869م، إلا أن هـذا الرخـاء والازدهـار لم يـدم طويـلا حيـث كانـت فترتـه قصـيرة، كـما ونجـد أن أغلـب المبـاني العامـة والكبـيرة كانـت لمسـئولين. وفي أثنـاء قيـام الثـورة المهديـة كانـت سـواكن محصنـة بواسـطة كتشـنر حتـى عـام1888م ولم تخضـع لجنـود المهديـة، وفي هـذه الفـترة انتعشـت التجـارة (ضرار:المصـدر السـابق:68).

بعـد ذلـك دمـرت سـواكن كميناء، وتـم بنـاء ميناء جديـد يبعـد حـوالي33 ميـل شـمال مقـبرة شـيخ برغوث(حاليـا بورتسـودان)، وفي عـام1922م أصبحـت جزيـرة سـواكن مهجـورة. وحتـى العـام1951م كانـت غالبيـة المبـاني باقيـة وتـم رسـمها بواسـطة المهنـدس قريـن لـو (Green Low) (Greenl0w:1976:5).

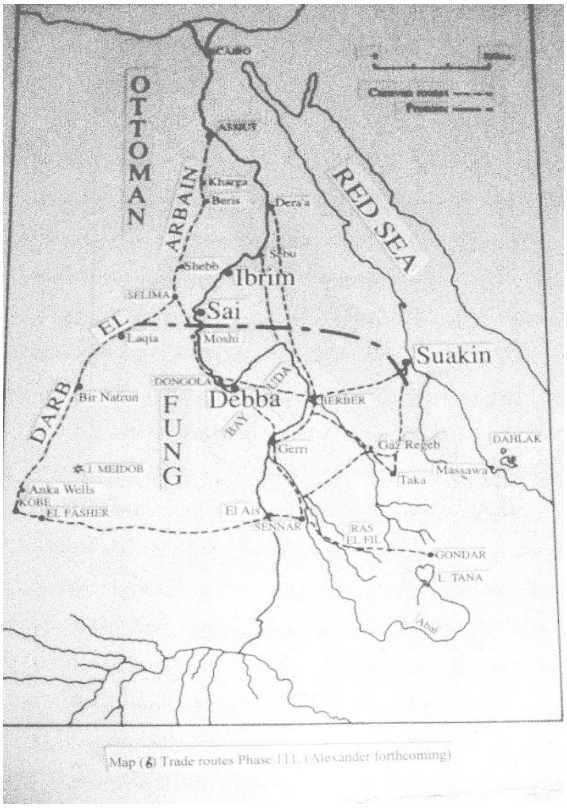

خريطة رقم (1)
ميناء سواكن

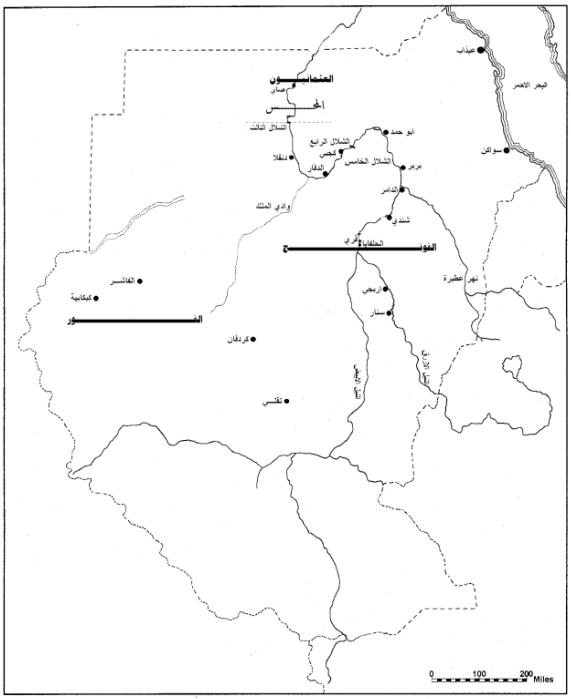

خريطة رقم (2)
الممالك الاسلامية في السودان تصميم الباحث

سـواكن وموقعـها من قبل رسامـي الخرائط:

مـن الأدلـة الهامـة جـدا، وبخاصـة للفـترة العثمانيـة» والتـي تـؤرخ للمواقـع، هـو تسـجيل الخرائـط، اذ يزودنـا رسـامو الخرائـط بأدلـة أخـري تسـاعد في زيـادة المعرفـة بتأريـخ المواقـع، وبخاصـة الرسـومات أو الخرائـط التـي تـأتي مـن قبـل الرحالـة أثنـاء هـذه الفـترة، أو الخاصـة بالحـدود العثمانيـة المصريـة وسـلطنة الفونـج.

عرضـت سـواكن كجـزء مـن النوبـة مـن خـلال الخرائـط المبكـرة لاورتيليـوس (Ortelius) (1950م)، ولينشـوتن (Linschoten) (1596م)، وسـبيد(Speed) (1626م). كـما أن خريطـة للازارولويـس (Lazaroluis) في أكاديميـة البرتغـال للعلـوم، أرخـت للعـام (1563م) حيـث شـاهدوا رايـة الهـلال مرفوعـة ترفـرف عـلي سـواكن. وخريطـة أخـري لمـوردن (Mordan) (1687م) عرضـت سـواكن جـزء مـن الحبشـة (Beg de Habelthi). لكـن هنالـك

إشارات لعدد من الخرط تبين وتفصل سواكن كجزء من النوبة، مثل خريطة كاتلين (Chatelain) (1711م) فصلت النوبة وحددت محافظة باربروسا (i-e.Ber-_Barberosa beriastan) تحت الحكم التركي.

لم يعترف بسواكن كجزء من الإمبراطورية العثمانية من قبل رسامي الخرائط الأوربيين حتى عام1740م، عندما عرضت خريطة لوتر (Lotter) سواكن ضمن مملكة الحبشة (Habelthi). كما عرضت سواكن فقط داخل منطقة حكمت بواسطة سنار، علي الرغم من أن خريطة رينولد (Reynold) (1771م) عرضت سواكن مرة أخري كجزء من النوبة. خريطة دون (Dunn) (1774م) بها الحبشة (Habes) منطقة منفصلة (وهي واضحة ولا تزال اسميا تحت نظام الانفصال). خريطة بوني (Bonne) (1787م) عرضت سواكن علي شاطئ الحبشة (Habes)، لكن في النوبة انفصلت ما بين نوبة تركية ومملكة الفونج. خريطة بينكرتون (Pinkerton) (1812م) وخريطة مايورز (Mayers) (1845م) عرضتا سواكن كجزء من النوبة مثلما أن النوبة جزء من مصر.

أما الحدود مع إثيوبيا فقد كانت إلي حد ما متحركة، وتراءت في أواخر (1860م) فقط إلي الجنوب من طوكر. ونجد أن رسم الخرائط هذا ساعدنا في معرفة أكيدة ومنذ فترة مبكرة في معرفة مفتاح مباني سواكن، عندما كانت تحت إدارة وإشراف نابليون الثالث (Napoleon111). أما جويلومي ليجيان (Guillaume Lejean) فقد نشر أول خريطة دقيقة لزيارته ومعه مجموعة مرافقين بين شهري فبراير وأغسطس(1862م)، هذه الخريطة عرضت عدد من الأشكال في الجزيرة إلا أنها كانت متضمنة لمبني سمي (بيت المفتي). وفي الوقت الحاضر وجدت عدة خرط لبيتر مان (Peter man) (1860م)، كما وجدت سلسلة خرط ومخطوطات بحرية دعمت بالمسح الذي تم من قبل كابتن بولن (Captain Pullen) (1858م) شوهدت من خلالها التحصينات علي طول الشمال مسنودة ومرتبطة بالدفاعات العثمانية المتأخرة،أو الدفاعات التركية المصرية، إلا أنها اختفت. ربما من المحتمل بنيت للدفاعات حول القيف. أما المباني خارج المدينة (main land) هي جزء من المدينة، في عام (1880-1860م) تم تحريك دفاعاتها واستخدمت ضد غردون ومؤخرا صارت سند بحري لكتشنر(Mallinson.M etal:Op.cit:pp:472-473).

(ملاحظة: كل الخرط أعلاه عرضت سواكن كجزء من النوبة أو من مملكة الحبشة (Habelthi)).

العمـل الاثـاري في مدينة سواكن:

تعتمـد معلوماتنـا عـن جزيـرة سـواكن عـلي كتـاب (Jean-Pierre Greenlaw) (The Coral buildings of Suakin)، والـذى جمعـت مـواده في الأربعينـات مـن القـرن المـاضي قبـل مغادرتـه للسـودان في عـام 1951م، حيـث عـاد مـرة أخـرى للبـلاد في السـبعينات لإكمال بعـض التفاصيـل التـي لم يقـم بتدوينهـا في زياراتـه السـابقة للجزيـرة.

وتعتـبر سـواكن مثـال لمدينـة تركيـة صغـيرة تـم بناؤهـا بـين القرنـين السـادس عـشر والعشريـن الميلاديـين، كـما هـو الحـال في مـدن أخـرى عـلي سـاحل البحـر الأحمر مثـل جدة، مصـوع والحديـدة. وسـواكن أصغـر حجـماً مـن جـدة إلا أن المعماريـين والحرفيـين الذيـن قامـوا ببنائهـا أتـوا مـن الحجـاز وإسـتخدموا نفـس المناهـج والتفاصيـل الفنيـة الموجـودة في منـازل جـدة القديمـة .

وعندمـا تـم المسـح الأولي لسـواكن تـم تسـجيل حـوالي 4 منـازل كبـيرة ومـا يقـارب 200 منـزل أصغـر حجـماً وعـدد مـن المسـاجد والزوايـا وشـارع تجـارى بـه العديـد مـن المتاجـر. وهـذا الشـكل العـام للمدينـة هـو نفـس الشـكل الـذى وصفـه دون جـوان دو كاسـترو، القائـد البحـرى البرتقـالي والـذى زار سـواكن في عـام 1510م.

وتتكـون المنطقـة مـن ثلاثـة جـزر، إحداهـا هـي التـي تحتـوى حاليـاً عـلي بقايـا الكرنتينـة والثانيـة تسـمي الـــCondenser Island))، وهـو الإسـم الـذى أطلقـه الجنـود البريطانيـون الذيـن إحتلـوا هـذه الجزيـرة الصغـيرة في الفـترة مـن 1885 حتـي 1996م . أمـا الجزيـرة الثالثـة فهـي سـواكن والتـي ظلـت مأهولـة لأكـثر مـن خمسـمائة عـام، وكان بهـا أكـثر مـن 200 منـزل في حالـة جيـدة مـن الحفـظ حتـي نهايـة الثلاثينـات مـن القـرن المـاضي. والمنطقـة المواجهـة للجزيـرة تعـرف بإسـم القيـف وتشـكل وحـدة معماريـة منفصلة أضـاف إليهـا الكلونيـل (كتشـنر) العديـد مـن التحصينـات في التسـعينات مـن القـرن التاسـع عـشر الميـلادي. وهنالـك الكثـير مـن مبـاني ذلـك القـرن في تلـك المنطقـة مثـل المدرسـة ذات الطابقـين، مسـاكن الشرطـة، السـجن، بقايـا منشـآت الخـط الحديـدى القديـم بـين سـواكن وبربـر والقبـاب كقبـة الشـيخ أبـو الفتـح ومدافـن سـت فاطمـة والشـيخ غريـب. ويمكـن الوصـول للجزيـرة مـن الـبر عـن طريـق الرصيـف الـذى بنـاه الجـنرال (غـردون) في عـام 1877م وطريـق متسـع يـؤدى إلي منطقـة المحافظـة، المركـز والجـمارك . وتنقسـم مبـاني الجزيـرة إلي مجموعتـين إذ يحتـوى الجـزء الجنـوبي منهـا عـلي المنـازل التركيـة القديمـة بإسـتثناء منـزل خورشـيد باشـا، بينـما يحتـوى الجـزء الشـمالي عـلي منـازل مصريـة تـم بنـاء معظمهـا في نهايـة القـرن التاسـع عـشر الميـلادي. وقـد كان سـكان المدينـة مـن أثريـاء التجـار

الذين قدموا من جدة، اليمن، عدن، حضرموت، أثيوبيا، أرتريا، الهند ، مصر، سوريا.

وقد دلت الحفريات التي أجريت في الأعوام القليلة المنصرمة بواسطة البعثة البريطانية، والهيئة العامة للاثار والمتاحف وقسم الاثار جامعة الخرطوم علي وجود بشرى بشكل او بآخر في هذه الجزيرة منذ فترة الإمبراطورية الرومانية وربما الفترات الفرعونية وحتي الفترات الاسلامية. إلا إن إزدهار المدينة قد إرتبط بتاريخ الدولة الإسلامية وعلي وجه التحديد منذ فتح مصر في عام 641م.

ومنذ فجر التاريخ كان لسواكن ماضيها العريق، والذي يمتد من عهد الفراعنة (الممالك المصرية) والرومان، أما صلتها بالعرب فقد بدأت قبل الاسلام. حيث كان لها علاقات وطيدة بالجزيرة العربية وهاجرت اليها قبائل عربية واستوطنتها منذ قديم الزمان. وعند ظهور الاسلام في مكة المكرمة واشتداد أذي مشركي قريش للمسلمين، أمر الرسول (ص) أصحابه بالهجرة الي أرض الأحباش قائلا لهم: (لو خرجتم الي أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتي يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه..). فهاجر نفر من المسلمين وكانت أول بعثة اسلامية الي مناطق شرق افريقيا وبدأ الاسلام ينتشر في تلك المناطق. وفي عام (637م-16هـ) يحدثنا الطبري بأن الصحابي الجليل أبو محجن الثقفي قد نفي الي ميناء باضع الواقع بالقرب من مينائي عقيق وسواكن. وفي العام 750م هرب خليفة الأمويين الي بلاد أكسوم في الحبشة مرورا بسواكن وعقيق عبر طريق النيل بعد مقتل والده. أما عام 831م أرسل الخليفة المامون العباسي حملة تحت امرة عبدالله بن الجهم أمير مصر الي البجا وهزمتهم، وطلب البجا بالصلح والأمان فتم ذلك. وقد أعطي عقد الأمان هذا حق التنقل والاتجار في بلاد البجا، كما منح حق مرور الحجيج الي بلاد الحجاز، بالاضافة الي دخول أعداد من البجا واعتناقهم الاسلام. وفي سنة 869م قدم الي بلاد البجا أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحميد العمري، وكون امارته المشهورة في منطقة العلاقي. ويعتبر العصر العباسي بصورة عامة نقطة تحول لبلاد البجا، حيث انتشار الاسلام بينهم بالاضافة الي امتزاجهم بالدماء العربية ودخول اللغة العربية بينهم. فانعكس ذلك علي التجارة في سواكن وانتشارها ومن ثم ازدهارها. وفي عام 1172م قام القائد الايوبي صلاح الدين (532هـ-589هـ/ 1138-1193م) باجتياح بلاد النوبة (منطقة المريس)، بعد هزيمته لكنز الدولة. كما واحتل القدس ومن ثم بدأ إهتمام الأوروبيين بمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط. وفي عام 1213م أشار ياقوت الحموي بأن منطقة سواكن يسكنها قبائل زنجية لا زالت تدين بالمسيحية. وفي العام 1215م أرسل سلطان مصر

حملة عسكرية علي إثر نهب السكان لبضائع التجار المصريين الذين هلكوا في المنطقة، ومنذ ذلك الحين دخلت المنطقة تحت السيطرة المصرية المباشرة . وفي العام 1255م وصفت سواكن بقرية صغيرة تسكنها قبائل الهمج . أما العام 1451م فقد وصلت العديد من عائلات أشراف مكة وإستقرارهم بالقرب من كسلا، واستقروا لبعض الوقت في مناطق سواكن وسنكات، وهنالك منازل في المنطقتين يمكن إرجاعها لهذه العائلات. وفي عام 1453م سقطت القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين وظهورهم في المنطقة كقوة كبيرة لا يستهان بها.. وقد شهدت هذه الفترة نوعاً من الإستقلال والإزدهار لكل من جدة وسواكن، حيث أصبحت الأخيرة هي الطريق الوحيد الآمن للحج بعد إندلاع الحروب في الشمال. أما القرن السادس عشر الميلادى فقد شهد هذا القرن حدثين هامين أولهما رحلات البرتغاليين حول رأس الرجاء الصالح وإستقرارهم في مناطق من شرق أفريقيا، أما الحدث الثاني فهو قيام مملكة الفونج في سنار 1504م. وقد تبعت سواكن بشكل رمزى لمملكة سنار الإسلامية في هذه الفترة. وفي عام 1516م احتل الأتراك مصر وأرسلوا جيوشهم لإحتلال كل من مصوع، سواكن وجدة. واحتلوا سواكن واستقروا بها وبدأ المعمار التركي في المدينة، حيث قام الأتراك بتوسيع الميناء وتركوا حامية في المدينة وجعلوا علي رأسها باشا ربما كان يسكن في البداية في المنزل المعروف ببيت الوالي. وفي 1629م صارت سواكن القاعدة التركية الرئيسية لإحتلال اليمن. وقد شهدت هذه الفترة بناء المنازل الكبيرة كمنزل خورشيد أفندى والشناوى بك. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين أدت المعاملة الصارمة للأتراك الخوف من النهب في البحر الأحمر، كما وأن إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ادي إلي تدهور مكانة سواكن التجارية. وفي عام 1814م ذكر الرحالة السويسرى بوركهارت أنه شاهد أكثر من 600 منزل في جزيرة سواكن ثلثيها محطم ومهجور، بينما تحدث عن إزدهار المعمار في منطقة القيف. وفي عام 1865م أصدر سلطان تركيا فرمانا للخديوى إسماعيل يعطي أبناؤه الحق في وراثة حكم مصر إضافة لإدارة موانئ مصوع وسواكن مقابل ضريبة إضافية تدفع سنوياً. وفي هذه الفترة إزدهرت سواكن بفضل التجارة مع مصر ولكونها المنفذ الرئيسي لحجاج أفريقيا . وفي العام 1866م تم تعيين ممتاز باشا حاكماً علي الميناء حيث قام بتشييد الطابق الأعلي من المحافظة، ومنذ ذلك بدأ تدفق التجار المصريين وإستقرارهم في سواكن. وفي العام 1896م زار بيكر سواكن وذكر أن عدد سكانها قد بلغ حوالي 8.000 نسمة. وفي نفس العام تم فتح قناة السويس وعودة النشاط التجارى للبحر الأحمر ووصول مزيد من المصريين والأوربيين لسواكن. وفي

العام 1874م ذكر وايلد (Wilde) والذى كان يعيش في عدن بأن تجار سواكن ومصوع ليسوا إلا وكلاء لكبار التجار في جدة وأن تجارتهم الرئيسية كانت الرقيق لأسواق القاهرة والقسطنطينية إضافة للعاج، الصمغ، البن الحبشي، الجلود من كسلا، القطن، السمسم والماشية كما كانوا يستوردون بعض المنتجات مثل السكر، الشمع، الصابون، الأرز، الأقمشة من مانشستر والأدوات المعدنية من بيرمنجهام ومن ثم يصدرونها بالقوافل لبقية أجزاء أفريقيا عن طريق بربر وكسلا. وفي عام 1874م بدأت السفن التجارية تعبر موانىء البحر الأحمر وإزدهار الميناء للحوجة المتزايدة للبضائع الأوربية، وفي هذه الفترة كان الحكام والموظفون الأوربيون وكبار التجار يسكنون الجزيرة بينما بقي الأهالي في القيف والذى كان يحتوى علي سوق كبير. وفي عام 1877م تم تعيين الجنرال غردون باشا حاكماً عاما علي السودان ووصوله للبلاد عبر سواكن حيث أمر ببناء الرصيف بين الجزيرة والقيف. وفي العام 1881م صدر فرمان باعتبار شرق السودان محافظة منفصلة وتم تعيين علي الدين أول حاكم لها وبدأ مهامه في بداية 1882م . وفي العام 1883م قامت بعثة مصرية بدراسة ثلاثة خيارات لمد خط حديدى في السودان : (1) سواكن – كسلا – قوز رجب – الخرطوم (2) القاهرة – الخرطوم علي طول النيل (3) سواكن – بربر – الخرطوم لم يكتب لهذا الخط أن يرى النور نسبة لإندلاع الثورة المهدية وقيام عثمان دقنة بمهاجمة حاميات الشرق وإحتلال طوكر وسنار ومحاصرة سواكن . وفي عام 1885م وعند سقوط الخرطوم في يد المهدى كانت سواكن القاعدة الثانية لحملة الإنقاذ حيث كان بها حوالي 13000 جندى بهدف القضاء علي عثمان دقنة وبناء الخط الحديدى لبربر، إلا أن الحملة قد هزمت علي يد عثمان دقنة ومن ثم تدهورت التجارة ومعها ميناء سواكن. أما العام 1898م فقد سقطت أم درمان، وقامت الحكومة بدراسة عدد من الخطط لإعادة تأهيل سواكن والتي كانت تعاني من ضيق الميناء، قلة مياه الشرب والحالة المتردية لمباني المدينة. وفي عام 1903م أجريت عدد من الخطط لتأهيل الميناء وبناء مساكن جديدة . وفي عام 1904م تم تقديم تقرير من مصلحة الأشغال عن صلاحية مرسى برقوت لميناء جديد وقبول التقرير وترك فكرة إعادة تأهيل سواكن. وفي العام 1905م تم بناء خط السكة الحديد بورتسودان الخرطوم. وفي عام 1910م تم ترحيل إدارة المحافظة لبورتسودان . وحتي عام 1918م إستمرت سواكن في أداء مهمتها لتوقف الأعمال في بورتسودان بسبب الحرب العالمية الأولي . وفي عام 1922م تم الإفتتاح النهائي لبورتسودان ورحيل السكان اليها(Greenlaw:op.cit:).

سواكن والعثمانيون:

اتسمت الدولة العثمانية بأنها أوسع الدول الإسلامية أرضاً، وأطولها عمراً، وأعظم الدول التي أسستها الشعوب الناطقة باللغة التركية. نشأت على حدود دار الإسلام، في الزاوية الشمالية الغربية من بلاد الأناضول -آسيا الصغرى- في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، عند سقوط سلطنة سلاجقة الروم (1077-1301م) على يد المغول. وقد كانت بلاد الأناضول مسرحاً لتسرب الأتراك المسلمين قبل وعند ميلاد سلطنة سلاجقة الروم والتي قدر لها أن تسهم بدور نشط في نشر الإسلام والتمكين للأتراك في المنطقة. وعلى أنقاض تلك السلطنة قامت إمارات تركمانية متنافسة، وكانت فكرة الجهاد في سبيل الله هي سبب وجودها وعلة بقائها والغالبة على نشاطها. وكانت إمارة عثمان، التي تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً إحداها والتي قدر لها أن تتوسع على حساب الإمارات التركمانية في الأناضول، وعلى حساب الإمبراطورية البيزنطية في أوربا عبر الدردنيل وبحر مرمره وأن تحتل موقعاً مقدراً في البلقان. وكان ذلك بداية لتوسعها المضطرد الذي شمل فتح القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية عام 1453م على يد السلطان محمد الفاتح الثاني.

أما في عهد سليم الأول أي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي فقد حدث انقلاب في إستراتيجية الدولة العثمانية فتوقف الزحف الغربي أو كاد واتجهت الدولة العثمانية اتجاهاً شرقياً في قلب الشرق العربي.

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الظاهرة، البعض يعتقد أن الدولة قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر وإنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر الميلاديين البحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع. أما الفريق الآخر من المؤرخين فيعتقد أنه حتى ولو صحت وجهة النظر الخاصة بمدى التوسع العثماني في الغرب فإن الأحداث التي دارت داخل الشرق العربي أو حوله في أوائل القرن السادس عشر الميلادي هي التي جذبت الدولة العثمانية إلى الدخول في ميدان الشرق العربي (أنيس: 1963: 102). غير أن أصحاب هذا الرأي يختلفون فيما بينهم حول تفسير المقصود بأحداث الشرق العربي فبعضهم يرى أن سياسة الدولة الصفوية في إيران من أجل محاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى الشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة. والبعض الآخر يرى أن المقصود بأحداث الشرق العربي هو الزحف الأوروبي أو البرتغالي على حدود الشرق العربي ومنافذه البحرية،

وأن خروج العثمانيين إلى هذه المناطق كان يقصد به الوصول إلى حدود ومنافذ الشرق العربي قبل البرتغاليين وحماية الشرق الأدنى الإسلامي من الخطر البرتغالي.

الرأي الأول إذاً يفسر الاتجاه العثماني الجديد من زاوية الموقف في شرق أوروبا والرأي الثاني من زاوية أحداث الشرق العربي خاصة أو المحلية والرأي الثالث يربط بين هذا الاتجاه الجديد في الدولة العثمانية وبين الأحداث العالمية الدولية التي أخذت بدورها تؤثر في مناطق الشرق الأوسط.

والواقع أنه لا شيء يمنع من أن تكون هذه العوامل جميعها مسئولة مسئولية مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية. ومهما يكن من أمر فإن الفتح العثماني للشرق العربي قد تمخض عنه ثلاث نتائج هامة:

أولاً: أنه خلق في الشرق الأوسط وحدة سياسية بعد تفككه بسقوط الدولة العباسية حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي وهي الوحدة التي اتخذها نقطة البداية في تاريخ الشرق الأدنى الحديث.

ثانياً: أن الفتح العثماني أنقذ العالم السني في آسيا الصغرى والشام ومصر والعراق إلى حد ما من السيطرة الشيعية وحصر هذه السيطرة داخل إيران وحدها.

ثالثاً: أنه وإن لم يتمكن من طرد النفوذ البرتغالي من مياه المحيط الهندي إلا أنه استطاع أن يوقف توغله في البحار العربية وبالتالي أنقذ الشرق العربي من الخطر الأوروبي (المصدر السابق، ص103-104).

جاء الخطر الشرقي من إيران التي تحولت إلى المذهب الشيعي تحت الشاه إسماعيل الصفوي خلال السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي، وأخذ الصفويون يبثون دعاتهم الشيعة في أواسط تركمان الأناضول، كما احتلوا العراق. والراجح أن الصراع العثماني الصفوي هو المسئول عن تولي سليم الأول (1513-1530) بعد خلع والده، بعونٍ من الإنكشارية وبعد أن أمن سليم الأول جبهته الأوربية بعدد من الاتفاقيات ومثلها مع مماليك مصر حكام الشام في عام 1513م، خرج الجيش العثماني لملاقاة الصفوية وحققوا بفضل أسلحتهم النارية نصراً عظيماً في معركة شالدران الفاصلة في يوم 23 أغسطس 1514م. وقد أمنت تلك الحرب للعثمانيين سيطرة دائمة على كردستان وديار بكر، وأخرى وقتية على أذربيجان (حسن: 1999م:19).

وفي الفترة من أغسطس 1516م إلي يناير 1517م سقطت الشام في يده، واستولى على فلسطين ثم القاهرة، وفي أثناء إقامة السلطان سليم في مصر تم تسليمه مفاتيح الكعبة الشريفة وبعض مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الشريف

بـركات أمـير مكـة، وكذلـك دخلـت الحجـاز تحـت السـيادة العثمانيـة ثـم قبضتهـا عـلى بعـض أجـزاء اليمـن التـي كان يحتلهـا بعـض الأمـراء المماليـك، وأصبـح البحـر الأحمـر بحـيرة عثمانيـة تقريباً.دعـم الطابـع الإسـلامي العثـماني للبحـر الأحمـر حـين فتـح السـلطان سـليمان المـشرع (1530-1566) الـذي خلـف والـده سـليم الأول كلاً مـن مصـوع وسـواكن عـام 1557م منتهـزاً فرصـة انـدلاع حـرب أهليـة في الحبشـة. كـما وامتـد نفوذهـم إلى الجـزء الشـمالي مـن بـلاد السـودان وعـلى العمـوم تتفـاوت قبضـة العثمانيـين عـلى أملاكهـم مـن موضـع لآخـر (المصـدر نفسـه:20).

لقـد كان للوجـود العثـماني في البحـر الأحمـر الـدور الكبـير في تخفيـف الضغـط البرتغـالي عـلى التجـار العـرب والإمـارات العربيـة السـاحلية. كـما أوقفـت الاعتـداء البرتغـالي إلى حـد جعلـه يعجـز عـن أن يمـد مواقعـه إلى داخـل البحـر الأحمـر وإلى الولايـات العربيـة الداخليـة، وحطمـت المحـاولات التـي بذلهـا البرتغاليـون لتكويـن جبهـة مسـيحية منهـم ومـن الأحبـاش ضـد القـوى العربيـة الإسـلامية في البحـر الأحمـر وشرقـي أفريقيـة. كـما وأنهـا أضفـت الأمـن والأمـان عـلى البحـر الأحمـر وجعلتـه بحـراً إسـلامياً مغلقـاً في وجـه السـفن البرتغاليـة، ثـم عممـت هـذا المبـدأ عـلى جميـع السـفن المسـيحية فحرمـت عليهـا الإبحـار في ميـاه البحـر الأحمـر شـمالي ثغـر المخـا في اليمـن (باعتبـار أن أهـم الأماكـن المقدسـة تقـع في الحجـاز).

وهكـذا امتـد نفـوذ الدولـة العثمانيـة مـن أسـوار فينـا إلى مضيـق بـاب المنـدب، ومـن بـلاد القوقـاز عـبر شـمال أفريقيـا إلى مشـارف المحيـط الأطلـسي (خريطـة رقـم 1-1). ولا غـرو أن وصفهـا «جـان سـوفاجة» المـؤرخ الفرنـسي بأنهـا:

"ظلـت خـلال القرنـين السـادس عـشر والسـابع عـشر الميلاديـين دولـة مـن أعظـم دول الغـرب وأقواهـا. وكان جيشـها النظامـي مـن أحسـن الجيـوش تدريبـاً. وكانـت مدفعيتهـا أفضـل مدفعيـة تملكهـا أيـة دولـة. وكان أسـطولها يسـيطر عـلى البحـر الأبيـض المتوسـط كلـه

عليـه، سـيطرت الإمبراطوريـة العثمانيـة عـلي أجـزاء كبـيرة مـن شـمال إفريقيـا في الفـترة مـن القـرن السـادس عـشر الميـلادي وحتـى القـرن التاسـع عـشر الميـلادي . وقـد كان لتغيـير سياسـتها التوسـعية في مناطـق العـرب نقطـة مهمـة لهـا، وهنالـك عـدة أسـباب أدت الي ذلك كـما ذكرنـا سـابقا منهـا أن هـذه الفـترة (القـرن السـادس عـشر الميـلادي) شـهدت تغيـيرات جذريـة في سياسـتها الحدوديـة واسـتراتيجية حركـة الفتوحـات العثمانيـة، والتـي كانـت تتركـز وبصـورة كبـيرة في أوروبـا. الي جانـب أن التطـورات السياسـية والعسـكرية والدينيـة والتـي بـدأت في المنطقـة العربيـة والأناضـول في هـذا القـرن (السـادس عـشر الميـلادي) أكـبر السـبب في تغيـير مفهـوم التوسـعات والامتـدادات الحدوديـة للدولـة العثمانيـة، لينتقـل بعدهـا الي

بلاد العرب بعد أن كانت في أوروبا. ونجد أن صاحب فكرة تجميد الفتوحات العثمانية فيأوروبا وتحويلها الي بلاد العرب هو السلطان سليم الأول (1512-1520م). ونسبة لظهور القوة الرئيسية الأخري والتي استطاع أسطولها البحري الدخول الي مياه البحر الأحمر وهي البرتغال، أدي ذلك الي تحريك الأسطول العثماني الي المناطق العربية. لذا تم تجميد التوسعات الأوروبية العثمانية وبدأ في تحريك أسطول ليتحرك الي المنطقة العربية، ومن بعد التصدي للأسطول البرتغالي وابعاده عن بلاد العرب (المسلمين) خاصة الحجاز (الحرمين الشريفين).

لكل هذه الظروف والتي تتمثل في دخول قوة استعمارية غربية الي داخل الأراضي العربية الاسلامية،بالاضافة الي التذمر والضجر للدولة المملوكية من قبل العرب وجد الأتراك العثمانيين المسرح مهيأ لهم في حركة التوسع العربية.

هنالك عامل اخر ومهم بالنسبة للعثمانيين وحركة توسعهم في المناطق العربية الا وهو وجود الدولة الصفوية في ايران(1501-1785م)، والخطر الذي تشكله علي مناطق الأناضول. حيث كان العثمانيين يخشون من خطر التمدد الشيعي في المنطقة وانعكاس ذلك في تركيبة السكان الثقافية والاجتماعية، مما يقود الي حدوث تصدع وانقسامات في تركيبة الدولة.

علي كل، نجد أن ضم المنطقة العربية لتكون تحت مظلة حكم العثمانيين سوف يحقق عدد من المكاسب منها، أولا سد الطريق أمام التوسعات الصفوية في المنطقة(الأناضول)، وثانيا الوقوف أمام أي توسع غربي أوروبي استعماري. وثالثا السيطرة علي الأراضي المملوكية خاصة مصر وبلاد الشام والحرمين الشريفين. واخيرا دخول الحرمين الشريفين تحت ادارة السلطة العثمانية، وهذا ما له من مكاسب مثل خدمة الحرمين الشريفين وأنهم سيصيرون الحماة الوحيدين للأراضي المقدسة وهذا بدوره سيقود الي زيادة عظم ومكانة السلاطين العثمانيين عند المسلمين بصورة عامة (أنعم:-144:2013143).

وبعد تجهيز الجيش العثماني من قبل السلطان سليم الأول بدأ بالزحف نحو بلاد الشام، واستطاع هزيمة جيش المماليك في معركتين متتاليتين، وبالتالي خضوع بلاد الشام للسيطرة العثمانية. وواصل الجيش العثماني زحفه نحو مصر والتي تمثل مركز دولة المماليك، حيث تمكن العثمانيين من السيطرة عليها واحتلالها في معركة الريدانية(1517م) والقضاء علي المماليك وصارت مصر تابعة للسلطة العثمانية. ومن

أهـم نتائـج ضـم العثمانيـين لمـصر هـي دخـول الحرمـين الشريفـين تحـت ادارتهـم، وصـار يطلـق عـلي السـلاطين العثمانيـين لقب(خليفـة).

ولعـل مـن أقـوي الأسـباب التـي أدت إلي توغلهـم داخـل السـودان عـبر النيـل وعـلي شـواطئ البحـر الأحمـر هـو اهتمامهـم بسـلامة ولايـة مـصر مـن جهـة وسياسـة التحكـم في الجزيـرة العربيـة وشـواطئ البحـر الأحمـر مـن جهـة أخـري مـن أجـل التجـارة مـع الهنـد. بـدأ هـذا التوغـل والسـيطرة في السـودان منـذ بدايـة القـرن السـادس عـشر الميـلادي، أي قبـل أكـثر مـن ثلاثـة قـرون مـن الغـزو الـتركي المـصري للسـودان 1821م.

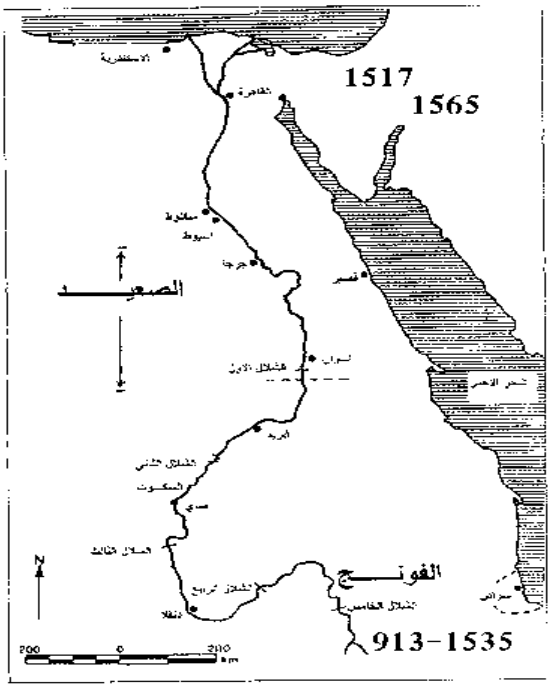

خريطة رقم (3)

الحدود العثمانية 1517-1565 الكسندر1996

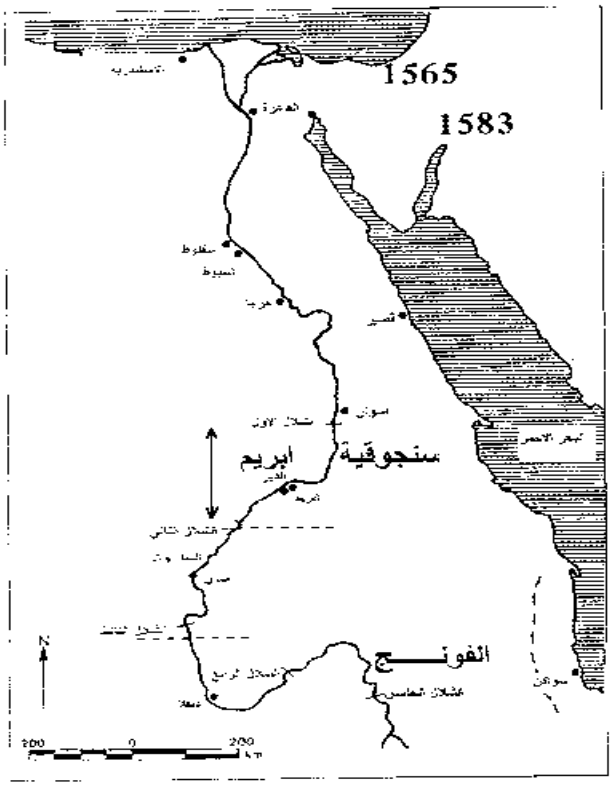

خريطة رقم (4)

الحدود العثمانية 1565-1583 – سنجوقية ابريم الجديدة

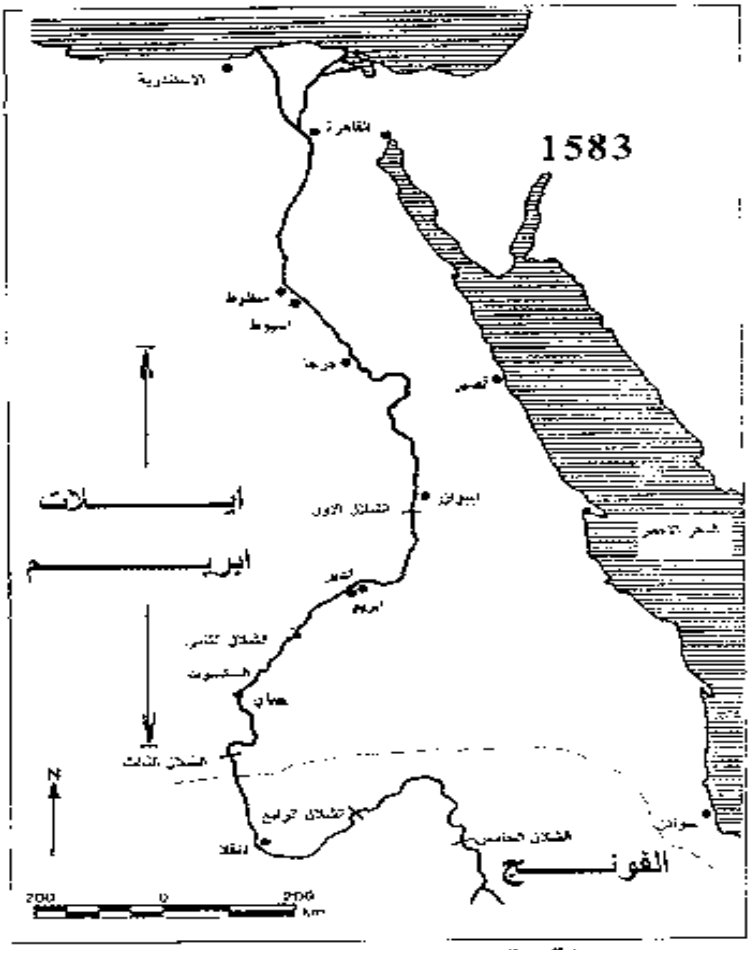

خريطة رقم (5)

ايلات ابريم : 1586

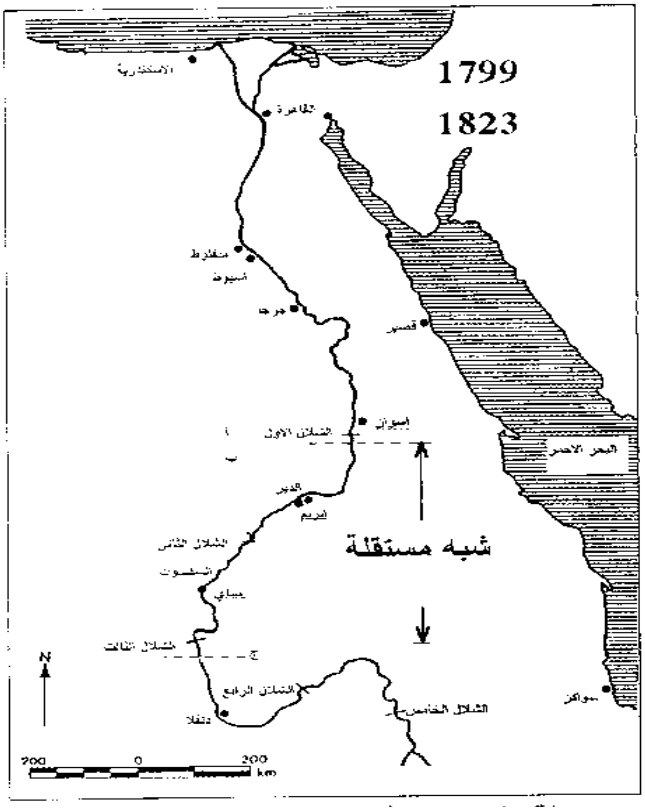

خريطة رقم (6)

أ. الفرنسيين (1799-1802). و (ب-ج) الحدود العثمانية 1802- 1823

تعد فترة الثلاثمائة عام الواقعة بين1517 و1827م من الفترات المهمة في تاريخ وادي النيل وبالأخص في السودان في الوقت الذي كانت فيه حدود الإمبراطورية العثمانية قد امتدت ووصلت بلاد النوبة بين الشلالين الأول والثالث. وقد كانت البداية احتلال سواكن1557م وضمها لسنجوقية الحبش، ثم تقدمت جيوشهم جنوبا علي النيل بسبب ضغط الفونج وحلفائهم، حيث تقدمت الحدود إلي منطقة الشلال الثاني وذلك في الستينات من القرن السادس عشر الميلادي وكان قصر ابريم هو الموقع الدفاعي الرئيسي وقاعدة حدودية هامة.

وهكذا أصبحت التركية الأولي هي الفترة الممتدة من 1532م_1821م تليها تركية محمد علي باشا1821م_1885م ثم تركية الحكم الثنائي(المصري البريطاني1898م_1955م).

تـم ذلـك بالدراسـة المتأنيـة والعميقـة للوجـود العثـماني في السـودان مـن قبـل جـون الكسـندر (John Alexander) مـن جامعـة كمـبردج، وهـو الـذي بـدأ صحـوة إعـادة دراسـة أثـار الإمبراطوريـة العثمانيـة في السـودان (Alexander:1996:1997:2000).

أنواع العمارة الاسلامية :

يختلـف العمـران في سـواكن عـن غـيره مـن أنمـاط البنـاء في بقيـة انحـاء السـودان، اذ يشـمل عديـدا مـن أنمـاط المعـمار الخـاص بطـراز البحـر الأحمـر، وبخاصـة الأسـلوب العثـماني القديـم، اضافـة الي أسـلوب البحـر الأحمـر المتمثـل في المشربيـات والبنـاء متعـدد الطوابـق، اذ يشـكل أسـلوب البنـاء في سـواكن جـزءا مـن تقاليـد البنـاء حـول شـواطئ البحـر الأحمـر، كذلـك المنـازل المبنيـة عـلي الطـراز الـتركي المـصري، كـما تحتـوي عـلي أماكـن الحجـر الصحـي للحجـاج، وقـد كان الجـزء الرئيـسي لسـواكن(main land) مسـكونا لنحـو 500 عـام متواصلـة، اضافـة الي المبـاني الاداريـة المهمـة مثـل وكالـة الشـناوي ومبنـي الجـمارك والمحافظـة (Greenlaw:op.cit:6-9).

أنظر صورة رقم(2)
مبنـي الجمـــارك
تصوير الباحث

صورة رقم (3) Greenlaw archive
مبني الجمارك 1939

صورة رقم (4)
منظر عام لمبني المحافظة - تصوير الباحث

العمارة المدنيــة:

عنـى المسـلمون بنـشر العمـران والاهتـمام بـه، وكان مـن أهـم وسـائلهم إلى ذلـك إنشـاء المـدن الجديـدة. ولم تكـن هـذه المـدن تنشـأ اعتباطـا، بـل يجـرى عـلى تأسيسـها حسـب تخطيـط مسـبق سـواء مـن حيـث اختيـار الموقـع أو نـوع العـمارة أو التحصـين.

أمـا مدينـة سـواكن، فهـي مثلهـا مثـل المـدن القديمـة الأخـرى فقـد نمـت وازدهـرت كغيرهـا مـن المـدن القديمـة ذات شـوارع ضيقـة وغـير مسـتقيمة تقريبـا، ومنافـذ صغـيرة بـين بلكونـات المنـازل وقـد قامـت لتكـون ميناء. كـما وتحيـط بهـا تحصينـات كتشـنر التـي أقامهـا عـام 1890م ذات المدخـل الحصـين (صغـيرون : 2003 : 97). وتشـمل العـمارة المدنيـة المنـازل وقـصر القوافـل وبعـض المبـاني الإداريـة التـي ازدهـرت في الفـترة المتأخـرة.

صورة رقم(5)Green law 1956

منظر عام لمباني الجزيرة

صورة رقم (6)تصوير الباحث
مبني المحافظة (أحد المباني الادارية بالجزيرة)

صورة رقم (7) Greenlaw archive
منظر عام للمحافظة 1939

المنازل :

تم تقسيم المنازل إلى نوعين :

النـوع الأول: التقليـدي وهـذا النـوع يتكـون مـن طابـق واحـد، مـن غرفتـين أو ثـلاث غـرف. ويتكـون المنـزل مـن قسـمين، قسـم للعائلـة وآخـر للضيـوف، وهـذا يشـبه نظـام الخيمـة عنـد البـدو. ولهـذا النـوع مـن المنـازل مميـزات نفـس المنـازل الكبـيرة الأخـرى، مثـل الرفـوف داخـل تجويـف الجـدران وهـى عـادة مـن الخشـب ومنظمـة في ثـلاث أدوار ومنفصلـة بواسـطة فواصـل خشـبية. كذلـك نجـد الزخـارف أعـلى المداخـل والنوافذ الخشـبية المفرعـة.

النـوع الثـاني: وهـو الـذي يتكـون مـن طابقـين أو أكـثر ولهـذا النـوع غرفـة اسـتقبال كبـيرة، تجاورهاغرفـة صغـيرة وحـمام.

صورة رقم (8)

منازل متعـــــــــددة الطوابق

صورة رقم (9) Greenlaw archive

منظر عام للمنازل (1960م)

وعندما تكون الغرفة في المدخل فإنها تعرف بالدهليز، وفى نهاية هذه الغرفة يوجد الديوان وهو يتكون من جزأين ويرتفع الجزء الثاني منهما على الأقل بدرجتين أو ثلاثة درجات. ويحتوى الديوان على مساطب للجلوس بارتفاع (50) سم من سطح الأرض.

صورة رقم (10)تصوير الباحث

منظر لأحد المداخل الخشبية

أما الطابق الأول وما بعده من طوابق، فهو أكبر حجماً ويحتوى على الحرملك ، وهو للعائلة ويتكون عادة من عدد من الأجنحة أو غرفة للجلوس تسمى بالمجلس. كما ويحتوى كل جناح على غرفة صغيرة تسمى الخزانة، ويوجد مطبخ مستقل إلى جانب الحمام. ومن الملاحظ أن الطوابق العليا للمنازل تتصل مع بعضها البعض لتسهل عملية خروج النساء دون اللجوء للشارع. وكما هو الحال في منازل إبريم وصاى، حيث يوجد مدخلان للمنزل مدخل خاص للنساء والآخر للرجال. من الملامح الهامة في منازل سواكن وجدة وجود المشربيات والتي تعرف بالروشان و(الشناشيل) في العراق ويطل الروشان هذا على الشارع. وعادة يصنع الروشان من أخشاب التك المستورد من جاوة ويسمى (جاوى) ويؤتى به من شرق الإنديز. ويمكن تتبع الروشان هذا حتى الهند شرقاً وليما فى بيرو غرباً، وهو ظاهرة معروفة فى جنوبي اسبانيا ومالطا ومصوع والصومال. ومن الثابت أن حجم الروشان له علاقة بطول الإنسان فهو عريض لينام الشخص فيه ومرتفع ليقف عليه ويطل على الشارع بنحو 60 سم. فإذا أضفنا هذا السمك لسمك الحائط يصبح الروشان أعمق وأعرض مما يسمح بجلوس اثنين أو ثلاثة لشرب القهوة. وتسمى أرضيته (الجلسة) ويضاء بمصباح كهربائي ينزل من السقف، وتتنوع الرواشين فى زخرفتها وحجمها وتتخذ الزخرفة أشكالاً هندسية (صغيرون : المصدر السابق : 99).

صورة رقم (12)احمد & حسني
منظـــــر عام للروشـــــــان

صورة رقم (13) Greenlaw 1920
منظر عام للروشان

ومـن الملاحـظ أن المنـازل الأولى بنيـت فى الجـزء الجنـوبي مـن الجزيـرة، وقليـل منهـا فى الجـزء الشـمالي إلى جانـب بعـض المسـاجد مثـل الحنفـي والشـافعي، وهـو الجـزء نفسـه الـذي شـهد مبـاني نهايـة القـرن التاسـع عـشر الميـلادي والتـي تضـم المحافظـة، الجـمارك، التلغـراف، البنـك الأهـلى المـصري، رئاسـة كتشـنر وغيرهـا. أمـا منـزل « خورشـيد « فهـو مـن المنـازل التـي بنيـت فى الجـزء الشـمالي الشرقـي.

منــزل خورشيــد باشـــا : E 37 20 331N 19 06 907

تـم اختيـار منـزل خورشـيد باشـا والـذي تمـت دراسـته تفصيليـاً لأهميتـه مـن قبـل بعثـة (المعهـد البريطـاني لـشرق أفريقيـا وقـد كان كاتـب البحـث عضـوا فيـه) والتـي تعمـل فى مـشروع البحـر الأحمر(سـواكن). وتـم إجـراء حفريـة في المنـزل وفي الجـزء المطـل عـلي البحـر والخـاص بالروشـان للتأكـد مـن وجـوده وذلـك في موسـم 2003م،إضافـة إلي الـشروع في ترميـم المنـزل لمـا لحقـه مـن تـضرر وإهـمال كبيريـن (سـعيد:2005: 97).

وهـو ذو طابـق واحـد، ويقـع فى الجـزء الشـمالي الشرقـي للجزيـرة، وهـذا المنـزل لـه طـراز وشـكل فريديـن يختلفـان إلى حـدٍ مـا عـن طـراز المنـازل الأخـرى فى الجزيـرة خاصـة فى التخطيـط والمظهـر الخارجـي العـام، حيـث يتكـون مـن حوشـين إضافـة إلى بعـض الغـرف الأخـرى (Greenlaw: op.cit: 29). وهـو يمثـل النـوع الأول مـن أنـواع المنـازل فى سـواكن. ويعـد مـن أهـم المنـازل الموجـودة فى جزيـرة سـواكن، وموقـع المنـزل إسـتراتيجي حيـث يطل عـلى البحـر الأحمـر مـن ناحيـة الـشرق، إضافـة إلى قربـه مـن المسـجد الشـافعي والحنفـي ومبـاني أخـرى هامـة. ويتكـون المنـزل مـن حوشـين وثـلاث غـرف إلى جانـب عـدد مـن المبـاني الأخـرى غـير واضحـة المعـالم، والتـي اختفـت تحـت كميـة مـن الحجـارة المتراكمـة فـوق بعضهـا البعـض، إضافـة إلى المـواد الخشـبية المسـتخدمة فى البنـاء. والمنـزل بصـورة عامـة شـبه متهـدم تمامـاً، عـدا بعـض الحوائـط الخاصـة بالغـرف الثلاثـة فى وسـط المنـزل.

ومـادة البنـاء المسـتخدمة فى المنـزل هـي الحجـارة المرجانيـة والمونـة الإسـمنتية إضافـة إلى الأخشـاب والتـي يصنـع منهـا الأبـواب والشـبابيك والروشـان والأرفـف وغيرهـا.

صورة رقم (13) تصوير الباحث

منـــــــزل خورشيـــــــد

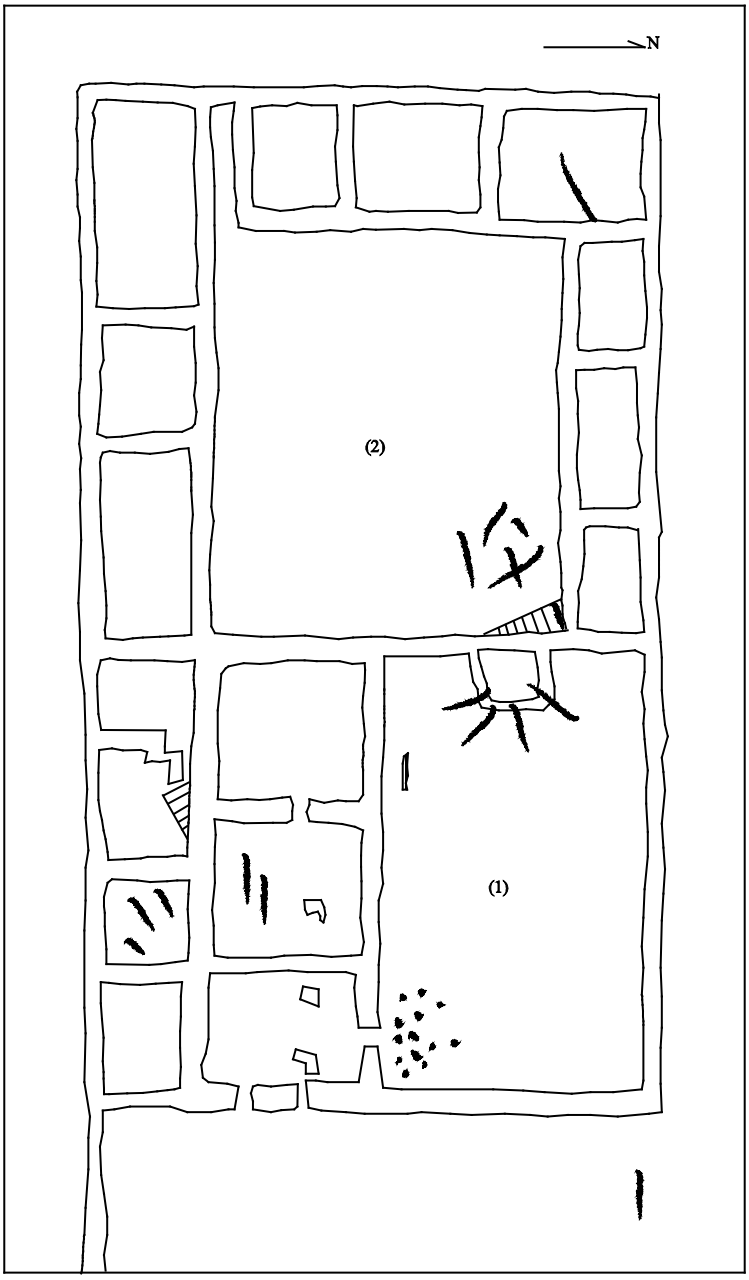

شكـــــــل رقـــــم (2)تصميم الباحث
منـــزل خورشيـــــد-سواكـــن

الحوش الأول:

يتكون من ثلاثة غرف هي:

الغرفة الأولى:

وهـى مسـتطيلة الشـكل (3.5 X7 م) وهـى الغرفـة الشرقيـة والتـي تعتـبر أكـثر الأجـزاء تماسـكاً فى المنـزل كلـه، ويوجـد داخـل هـذه الغرفـة بقايـا أعمـدة وبقايـا طـلاء بالبلاسـتر (الجـص) عـلى الحوائـط التـي زخرفـت بزخـارف نباتيـة وأخـرى هندسـية، كـما وجـد البـاب الخشـبي والـذي زخـرف باسـتخدام قطـع خشـبية رفيعـة. وعـلى جانبـي البـاب الخشـبي توجـد رفـوف مـن الخشـب (90 X70 سـم)، كذلـك تـم اسـتخدام دعامـات خشـبية عـلى الأسـاس. كـما اسـتخدمت التجاويـف (64 X68 سـم) كأرفـف.

الغرفة الثانية (الوسطى) :

وهـى الغرفـة الرئيسـية، مسـتطيلة الشـكل (4 X7 م)، وتوجـد بهـا أكـبر الحوائـط المتماسـكة حتـى الآن، وخمسـة نوافـذ اثنـان فى الأسـفل وهـما الأكـبر، وتعلوهـما ثلاثـة أصغر، وهـى مطليـة بالبلاسـتر وعليهـا زخـارف نباتيـة وهندسـية، وبهـا تجاويـف فى شـكل أقـواس ثلاثيـة الفصـوص. أمـا بـاب هـذه الغرفـة (150 x60 سـم) فهـو فى الجانـب الجنـوبي وبنفـس نظـام الغرفـة السـابقة عـثر عـلى الجانـب الأيمـن مـن البـاب عـلى رفـين مـن الخشـب، كـما عـثر عـلى سـلم متهـدم خلفهـا يـؤدى إلى الطابـق الأعـلى.

الغرفة الثالثة:

وهـى الغرفـة الغربيـة، مسـتطيلة الشـكل (3.5 x7 م) عـلي الحائـط الشـمالي، ومازالـت هنالـك أربعـة أرفـف خشـبية (64 x160 سـم) ويوجـد تجويفـان كبـيران بداخلهـما نافذتـين. وكـما هـو الحـال في الغـرف الأخـرى فقـد طليـت بالبلاسـتر وزخرفـت بالزخـارف الفنيـة المختلفـة (هندسـية ونباتيـة). إلى الشـمال مـن هـذه الغرفـة توجـد فسـحة مربعـة الشـكل طولهـا (12 x12 م) فى وسـطها غرفـة متهدمـة تمامـاً.

الحوش الثاني:

يتكـون مـن عـشرة غـرف متهدمـة تمامـا، ويتضـح مـن مكوناتهـا اسـتخدام الحجـارة المرجانيـة والخشـب. وقـد أظهـرت نتائـج هـذا العمـل وجـود الروشـان والنوافـذ العديـدة واسـتخدام التجاويـف الزخرفيـة الشـكل كأرفـف، كـما وجـدت الأرفـف الخشـبية التـي توضـع فيهـا بعـض الأدوات. بينـما لم يتـم العثـور عـلي أدوات، كـما وجـد الفخـار.

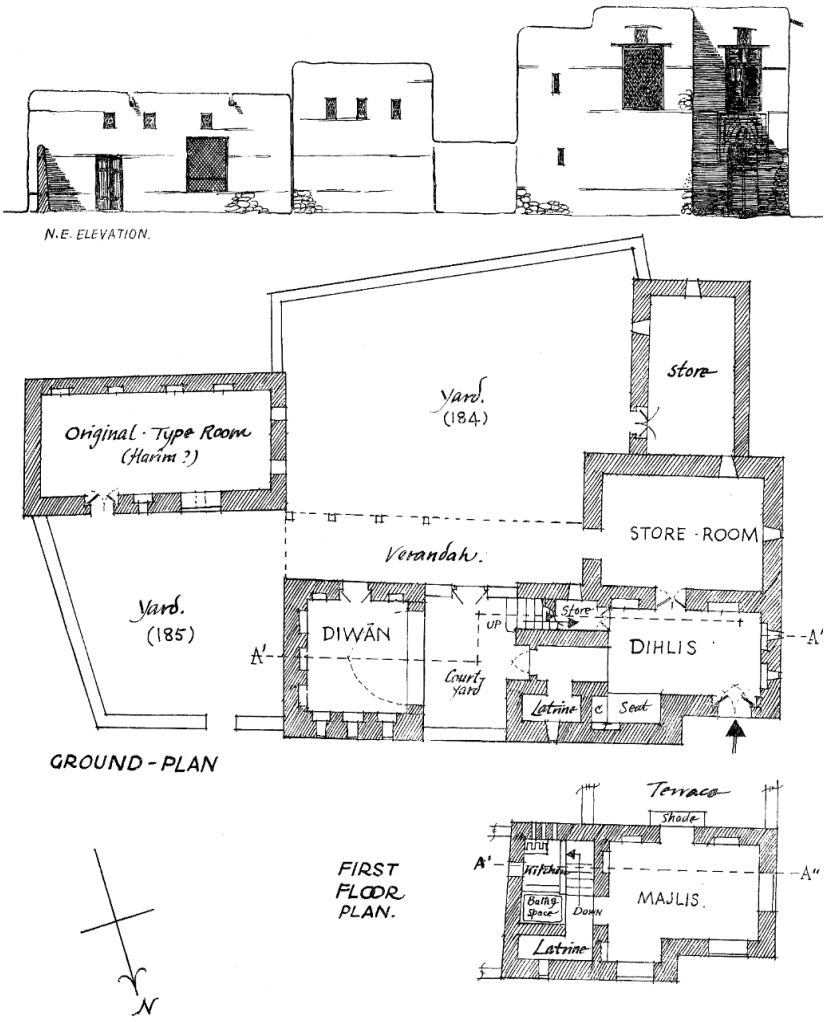

شکل رقم (3) Green law archive

منزل خورشید باشا

صورة رقم (15)Green law archive

ديـــوان بيت الباشـــــــا

صورة رقم (16) احمد & حسني

نموذج لبوابة من الجزيـــــرة

صورة رقم (17)احمد & حسني
نمـــوذج لنوافذ احدي المنـــازل

العمـارة الدينيـــــة :
المساجـــد :

توجـد العديـد مـن المسـاجد التـي تعـود لهـذه الفـترة فى سـواكن مـن أقدمهـا المسـجد المجيـدى، وهـو المسـجد الـذي أمـر ببنـاءه السـلطان العثـماني لأهـل القيـف لإقامـة شـعائر الديـن الإسـلامي والسـنة النبويـة فيـه. ويتكـون مـن رواق القبلـة بمحرابـه ومنـبره ودكـة المبلَـغ. وللمسـجد ثلاثـة مداخـل وملحقـة بـه خلـوه و مئذنـة فى الجانـب الجنـوبي الغـربي، وهـى مئذنـة مبنيـة مـن الحجـر مثمنـة بهـا مقرنـص وبنيـت شرفتهـا مـن الحجـر خلافـا لبقيـة المـآذن فى سـواكن التـي شرفاتهـا خشـبية - يـلي الشرفـة جـزء أسـطواني تعلـوه قبـة صغـيرة.

صورة رقم (18) تصوير الباحث
المسجـــد المجيـــدي

كما يوجد أيضاً المسجد الحنفي وهو فى عمارته أفضل من المجيدى علاوة على كثرة الزخارف على المحراب و المنبر، ولكنه فى الحجم نفسه، وللمسجد الحنفي مئذنة.

صورة رقم (19)تصوير الباحث
المسجـــد الحنفـــي

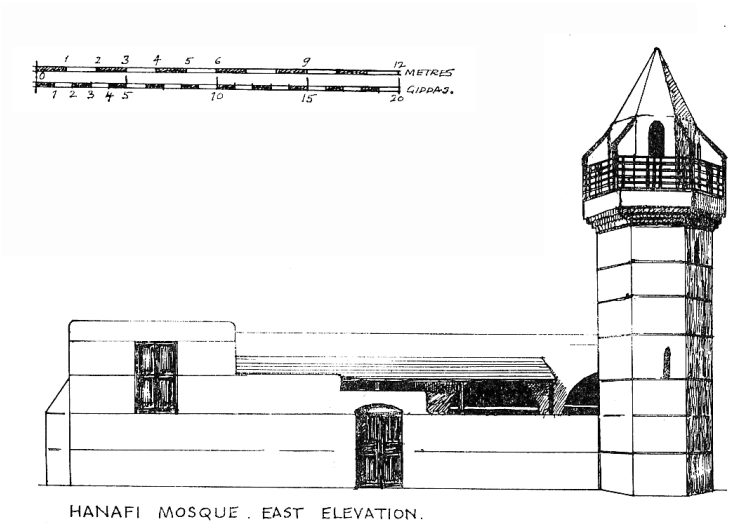

شكل رقم (4)Greenlaw archive

مخطط للمسجد الحنفي

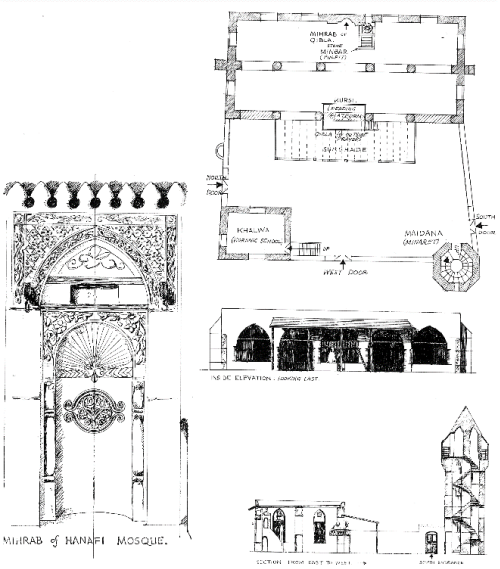

شكل رقم (5) Greenlaw archive

المسجد الحنفـــــــي

أمـا المسـجد الآخـر وهـو الشـافعي والـذي يقـع فى الجهـة الجنوبيـة مـن المسـجد الحنفـي وهـو أكبر مـن المسـجدين السـابقين، كـما وأكـثر زخرفـة منهـما أيضـاً ويتكـون مـن أربعـة أروقـة، وملحـق بالمسـجد خلـوة مـن الناحيـة الشـمالية الغربيـة. ولـه مئذنـة كذلـك فى الجانـب الجنـوبي الغـربي ولـه ثلاثـة مداخـل، وقـد قـام بترميمـه الخديـوي محمـد عـلي باشـا، ويقـال أن هـذا المسـجد بنتـه الملكـة شـجرة الـدر (ضرار: المصـدر المذكـور:148). ومـن خـلال أعـمال التنقيـب التـي تمـت مـن قبـل قسـم الاثـار بجامعـة الخرطـوم، ضمـن مـشروع سـواكن والبحـر الأحمـر بالمسـجد اتضـح أنـه يعـود لمـا قبـل القـرن الثالـث عـشر الميـلادي، ذلـك مـن خـلال المكتشـفات التـي تشـير الي ذلـك، والتـي كانـت عبـارة عـن حوائـط لمبـان سـابقة للمسـجد والتـي ربمـا تمثـل جـزءا مـن مسـجد قديـم أو معبـد. وفي مواسـم لاحقـة تـم اكتشـاف قواعـد لأعمـدة في منطقـة صحـن المسـجد وأساسـات لحوائـط، اضافـة لوجـود بعـض أنـواع مـن الفخـار وعظـام حيوانـات وقطـع صغـيرة مـن الفحـم، كـما عـثر عـلي اسـورة تشـبه تلـك التـي وجـدت في مينـاء عيـزاب (Mallinson & Metal:op.cit:470). والمسـجدان الحنفـي والشـافعي يقعـان في الجـزء الرئيـسي لسـواكن(main land).

صورة رقم (20)تصوير الباحث

المســـجد الشافعـــي

صورة رقم (21)تصوير الباحث
أحد الاعمدة المربعة في منطقة الصحن (الحفرية)

صورة رقم (22) تصوير الباحث
أحد الاعمدة الدائرية في منطقة الصحن (الحفرية)

صورة رقم (23)تصوير الباحث
الأرفف الخشبية والدواليب

صورة رقم (24) تصوير الباحث
المحـــــراب

صورة رقم (25) تصوير الباحث

صحن المسجد الشافعي

كما نجد عددا من المساجد الأخري فى سواكن مثل مسجد الشناوي، بناه محمد بك الشناوي نحو سنة 1873م، ومسجد تاج السر الذي بناه السيد محمد عثمان تاج السر نحو سنة 1890م وغيرها (Greenlaw:op.cit:31).

صورة رقم (26) تصوير الباحث

منظر عام لقبة ومسجد تاج السر

الزوايـــا :

وتنقسم إلى نوعين:

الأول: وهـو البسـيط المكشـوف عـلى شـكل مربـع أو مسـتدير ولـه حائـط قصـير، مـع تحديـد لاتجـاه القبلـة ولهـا مدخـل واحـد ناحيـة الغـرب. ويتفـرع مـن هـذا النـوع البسـيط نـوع آخـر وهـو يتكـون مـن أكـثر مـن مسـاحة، جـزء مفتـوح يليـه جـزء آخـر مظلـل ومفتـوح الجوانـب ثـم جـزء مسـقوف.

النـوع الثـاني: وهـو السـقف المقبـب مثـل زاويـة مـوسى وزاويـة المجـذوب (Green-law:Ibid:33).

العمـــارة العسكريـــة :

نجـد أن العـمارة العسـكرية في سـواكن كانـت عـلى شـكل تحصينـات وبوابـات رئيسـية تحيـط بالمدينـة مثـل بوابـة غـردون باشـا، وبوابـة كتشـنر باشـا والتـي يعـود معظمها للعهـد الثنـائي المـصري البريطـاني (Greenlaw:Ibid:34). لكـن قديمـا كانـت هنالـك عـدد مـن التحصينـات مثـل القلعتـين الصغيرتـين اللتـين تـم بناءهـما في القـرن السـابع عـشر الميـلادي مـن قبـل الأتـراك العثمانيـين الا أنهـما تهدمتـا بمـرور الزمـن، اضافـة الي قلعـة حنـدوب والتـي لعبـت دورا كبـيرا خـلال الفـترة المهديـة وقلعـة الملكيـة (انـدارا).

صورة رقم (27) تصوير الباحث
بعض أنواع التحصينات (بوابة غردون)

صورة رقم (28) Geenlaw archive
بوابـــــة غـــــردون

صورة رقم (29) تصوير الباحث
بعض أنواع التحصينات (قلعة حندوب)

صورة رقم (30) تصوير الباحث
بعض أنواع التحصينات (بوابة كتشنر)

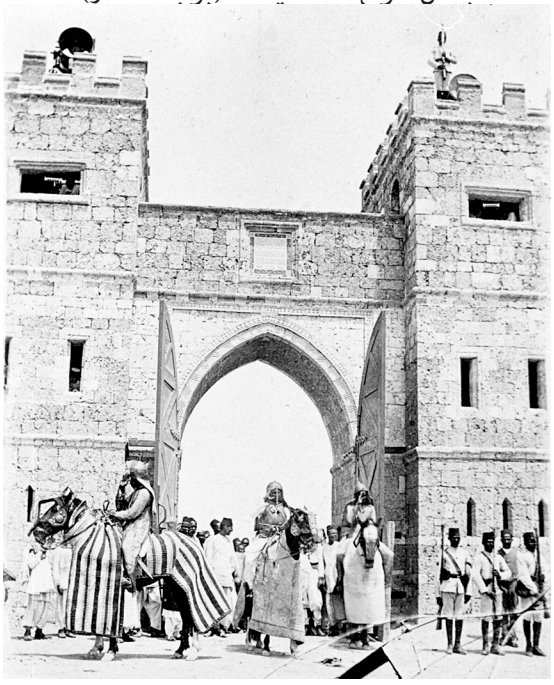

صورة رقم (31) Greenlaw archive
بوابـــــــة كتشنـــــــــــر

صورة رقم (32) تصوير الباحث
مدفع من العهد التركي

الفنــون :

تزخر سواكن بالعديد من أشكال الفنون والزخارف الاسلامية، والتي توجد أكثرها علي أسطح المباني خاصة المنازل والمساجد المغطاة بالجص، وهي زخارف علي اشكال نباتية وهندسية (Greenlaw:Ibid).

صورة رقم (33) تصوير الباحث
زخارف علي اشكال نباتية وهندسية مغطاة بالجص

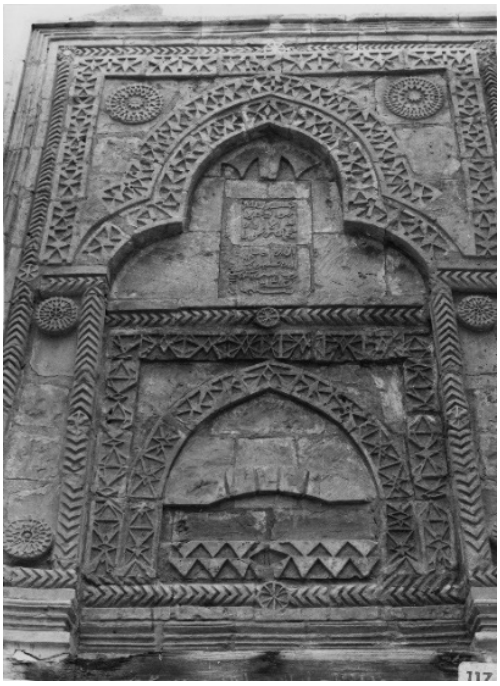

صورة رقم (34) تصوير الباحث
زخارف هندسية ونباتية علي الجص

الوضع السياسي في شرق السودان (سواكن):

أما في منطقة شرق السودان (سواكن)، فمنذ فجر التاريخ كان البحر الأحمر طريقاً عالميًا للتجارة، وقد ازدهرت الموانئ فيه خصوصاً في شاطئه الغربي مثل باضع وعيزاب وسواكن ومصوع.

وهو ميناء مهم ومعروف منذ قديم الزمان حيث اتخذه قدماء المصريين، أما في عهد الرومان فقد تضاءلت أهمية سواكن بعد استيلاءهم على مصر، وبعد زوال دولة الرومان على يد قائد المسلمين في سنة 20هـ بدأ الخراب يدب في سواكن، وعلى العكس تماما بدأ العمران يزدهر في عيزاب. ويمكن الحديث بان سواكن ظلت وحتي تلك الفترة من تاريخها من الموانئ الصغيرة غير المشهورة، وتعتبر خدماتها محدودة في تصريف بعض السلع للممالك المسيحية، بالاضافة لمرور الحجاج من المسيحيين الي الأراضي المقدسة في أورشليم. علي كل نجد أن الدور التاريخي لهذه الموانئ تتشكل

علي يد العناصر العربية قبل الاسلام وبعده. ومن خلال الكثير من الكتابات المبكرة نجد أن الميناء كان مشتركا بين التجار وقبائل البجة المحليين. هذه الروابط المبكرة مع وادي النيل واثيوبيا أعطت اشارة قوية لأهمية الميناء، اضافة الي أن تدهور عيذاب واضمحلالها في القرن الخامس عشر الميلادي المبكر زاد من أهمية ميناء سواكن، وفي القرن الخامس عشر الميلادي ضعف النظام المملوكي، وكانت التجارة تأتي من مناطق من الهند. وفى عام 1516م (933هـ) اصطدم الأسطول البرتغالي بالأسطول المصري ودارت معركة انتصر فيها الأسطول الأول واستولى على موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي. وبعد استيلاء البرتغاليين على ميناء سواكن، وبعد انتهاء السلطان سليم الأول(1465-1520م) العثماني من فتح الشام توجه إلى فتح مصر بجيوشه الجرارة ففتحها 1517م. ثم بعد ذلك خرج بأسطوله لتطهير البحر الأحمر من الأسطول البرتغالي الذي كان قاعدته مصوع، اذ وبعد سيطرة الاسطول البرتغالي علي مياه البحر الأحمر وخطورة ذلك علي المناطق المطلة علي سواحله، يمكن أن يشكل هذا النشاط العسكري من تهديد للأراضي المقدسة وعلي شعوب المنطقة ككل، رأي العثمانيين أنه لا خيار لديها سوي مواجهة البرتغاليين، اضافة لذلك تهديد البرتغاليين لتجارة الشرق والممالك الاسلامية الواقعة في بلاد الهند. لكل تلك الأسباب كان لابد من التحرك لحفظ حقوق المسلمين فحصلت المواجهة الحاسمة وانتصر الأسطول العثماني علي الأسطول البرتغالي واحتل سواكن ومصوع وجدة وغيرها. وعين في كل مدينة موظفا تركيا ينوب عنه ومعه حامية من الجنود وجعل الجميع تحت سلطة والى الحجاز. ومنذ ذلك الحين وحتي القرن التاسع عشر الميلادي كانت سواكن خاضعة للأتراك العثمانيين، والذين انشأوا حامية عسكرية تضم قلعتين صغيرتين، تم بناءهما في الجزء خارج الجزيرة (main land) في القرن السابع عشر الميلادي، استخدمت الأولي كقاعدة للأسطول الحربي العثماني في حربه ضد الأسطول البرتغالي. وفي عام1540م أصبحت القاعدة العثمانية في سواكن تقوم بتزويد الجيوش لغزو إثيوبيا، ومركزا أو «سنجوقية لايلات الحبش، وبفشل النظام عادوا مرة أخري إلي ايلات مصر. وهنالك كتابات تبين امتداد دولة الفونج وتوسعها شرقا حتي سواكن خاصة في عهد الملك عمارة دنقس، حيث اشتباك جيوشها مع الحداربة وانضمام قبيلة الأرتيقا الي سلطنة الفونج، وقتالهم للحداربة وهزيمتهم وطردهم من سواكن. وتم تعيين الأمير عبدالله بوش الأرتيقي من قبل قائد جيش الفونج أميرا لسواكن، فاستعادت سواكن شهرتها التجارية. واستمرت فتوحات جيوش الفونج حتي وصلوا مصوع. وفي عام 970هـ زار سواكن الشيخ عجيب

المانجلك بن الشيخ عبدالله جماع قاصدا أرض الحرمين(العراقي:المصدر المذكور:171). وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت المدينة تحت الحكم التركي المصري، مبدئيا تحت حكم محمد علي باشا، ومن ثم باستمرار وثبات حكمت من قبل الخديوي اسماعيل1765م. وفي أثناء قيام الثورة المهدية كانت سواكن محصنة بواسطة كتشنر حتى عام1888م، ولم تخضع لجنود المهدية، وفي هذه الفترة انتعشت التجارة. بعد ذلك دمرت سواكن كميناء، وتم بناء ميناء جديد يبعد حوالي33 ميل شمال مقبرة شيخ برغوث(حاليا بورتسودان)، وفي عام1922م أصبحت جزيرة سواكن مهجورة. وحتى العام1951م كانت غالبية المباني باقية وتم رسمها بواسطة المهندس قرين لو(Greenlaw).

الوضع العسكري في شرق السودان (سواكن):

كما هو معلوم أن للجيش العثماني وظيفتين: الحرب والحكم، فهي تعتمد على الجيش وقت السلم كما هو عدتها زمن الحرب. وكان العسكريون في الجيش لا يشغلون المناصب العسكرية فحسب، بل كانوا يشغلون أيضاً الغالبية العظمى من المناصب المدنية القيادية وما دونها ما عدا مناصب القضاء والوظائف الدينية وحتى هذين المنصبين في السودان جاءوا بهم من القاهرة. وقد مدت الدولة العثمانية هذا الاختصاص الثنائي للجيش إلى الولايات العثمانية. وهذه قاعدة ثابتة للعثمانيين.

وهذا ما تم في سواكن، أي وبعد أن هزم العثمانيين الأسطول البرتغالي سيطروا علي سواكن وقاموا بتاسيس لواء/ سنجق بها. وهذا اللواء في النظام الاداري العثماني يشير الي وحدة ادارية يرأسها أمير. وتتشكل الاياله الواحدة من مجموعة من الألوية (أنعم:المصدر المذكور:148). والجدير بالذكر أن هذا اللواء كان يمثل الوحدة الادارية أيضا، أي يحمل الصفتين الادارية والعسكرية. أي أن أمير اللواء هذا هو المسئول الاداري الأول المناط به النظر في جميع المسائل الادارية وبجانب ذلك هو القائد العسكري للواء. هذا الموظف أو الأمير يمثل الحكومة ويسكن الجزيرة (سواكن) ويحمل لقب أغا، لكن هنالك من عرب الحدارية ما يحدون من سلطانه أشد الحد، لما لهم من شوكة ونفوذ. وهذا الأغا تابع لباشا جدة، حيث كان عليه جباية المكوس التي تحصل على تجارة البحر في سواكن ويدفع لخزانة الدولة في جدة 32 ريال مقابل هذا الامتياز. كما ويجبي الضرائب على الواردات كلها لاسيما سلع الهند والتي ترسل إلى أسواق السودان، وكذلك على السلع الواردة منه أهمها العبيد والتبغ والخيل. ويجدد تعيين الأغا كل عام أو تعيين غيره (بروكهاردت:المصدر المذكور: 344-345). وقد شهدت سواكن

تطـور اداري مهـم تمثـل في أن تصبـح عاصمـة ايالـة الحبشـة. وبذلـك انتقلـت مـن كونهـا مجـرد مركـز لـواء الي مركـز للايالـة بكاملهـا (أنعم:المصـدر السـابق:151).

وتشـير احـدي الوثائـق العثمانيـة (مؤرخـة ب9 شـوال سـنة971هـ) الي أن أمـير امـراء ايالـة الحبشـة أرسـل خطابـا الي اسـتانبول يذكـر فيـه أن سـواكن تعرضـت للهجـوم مـن قبـل الجيـش الفونجـاوي (عـرب الفونـج)، وقـد قـام هـؤلاء العـرب بقتـل عـدد كبـير مـن المسـلمين في هـذا الهجـوم. كـما قامـوا بالسـيطرة عـلي مصـادر الميـاه بالمدينـة، ومنعـوا الأهـالي مـن الاسـتفادة منهـا، بـل قامـوا ببيـع هـذه الميـاه الي الأهـالي بأثمـان غاليـة جـدا. وتذكـر الوثيقـة أن عـرب الفونـج كانـوا يسـكنون في أطـراف المدينـة، ومـن أهـم مطالـب الوثيقـة نجـد انشـاء قلعـة لتامـين مصـادر الميـاه وتعيـين أمـير جديـد للـواء سـواكن يملـك القـدرة للدفـاع عنهـا والتصـدي لهـؤلاء العـرب (الفونـج) وطردهـم الي أطـراف المدينـة. وقـد اصـدرت الدولـة العثمانيـة ممثلـة في سـلطتها المركزيـة أمـرا بتعيـين أمـير جديـد يكـون أمـيرا عـلي لـواء سـواكن، وأن يطيـع الجميـع هـذا الأمـير ولا يعصـوه ويخالفـوه باعتبـاره موظفـا حكوميـا يقـوم بمهمـة أمرتـه الدولـة بهـا (أنعم:المصـدر السـابق:153). وتـدل هـذه الوثيقـة عـلي أهميـة هـذه الوظيفـة وعظـم مكانتهـا في الدولـة العثمانيـة.

أمـا ادارة منطقـة القيـف (المنطقـة خـارج الجزيـرة) فقـد كانـت في يـد الوطنيـين مـن الحدارِبـة، الي جانـب القـاضي والمفتـي (حميـدة:206:2013). وكانـت أسـواق سـواكن التجاريـة تحـت سـلطة الأرتيقـة الذيـن كانـوا يحصلـون عـلى الـزكاة مـن حصـة الجمـرك وأمـوال الأهـالي، في جمـع المكـوس بالتـزام سـنوي يدفعـه للخزينـة في جـدة كل عـام يقـدر بحـوالي 3200 ريـال.

الوضـع الاقتصـادي في شرق السودان (سـواكن) :

كـما هـو معلـوم للجميـع بـأن سـواكن مدينـة تجاريـة محضـة، وكانـت لهـم علاقـات تجاريـة واسـعة مـع ثغـور الحجـاز واليمـن بالاضافـة الي معاملاتهـم التجاريـة الداخليـة.

ونجـد أن الوضـع الاقتصـادي في مطلـع القـرن السـادس عـشر الميـلادي كان مزدهـرا وعـادت سـواكن تتمتـع بشـهرتها وازديـاد حجـم تجارتهـا وعـدد سـفنها كذلـك. كل ذلـك تمثـل في ظهـور القـوة الجديـدة والعظمـي وهـي الدولـة العثمانيـة، متربعـة عـلي عـرش سـواكن والبحـر الأحمـر ككل ومـصر، بالاضافـة الي قيـام دولـة الفونـج كذلـك وظهورهـا في الأراضي السـودانية وفـرض سـيطرتها عـلي رقعـة جغرافيـة كبـيرة في حـوض النيـل الأوسـط. وقـد ذكـر الرحالـة داؤود روبينـي في زيارتـه لسـواكن 1520م أنـه غـادر سـواكن قاصـدا

سـنار في قافلـة قوامهـا ثلاثـة الاف جمـل (بدوي:المصـدر المذكـور:49). حيـث نجـد أن الفونـج كانـوا يقومـون بتجميـع السـلع والمنتجـات وتمـر القوافـل تحـت رعايتهـا عـبر طريـق سـنار–التاكا- سـواكن في أمـان تـام. وكان العثمانيـون يشرفـون عليهـا في سـواكن ويقومـون بتسـويقها وشـحنها، ونلاحـظ مـدي التعـاون المشـترك والفعـال مـا بـين الفونـج والعثمانيـين، حيـث توفـير السـلع مـن قبـل الفونـج وبالمقابـل يقـوم العثمانيـين بتوفـير الأمـن وشـحن وتسـويق البضائـع.

وفي القرنـين السـابع عـشر والثامـن عـشر الميلاديـين نجـد انخفاضـا وركـود في حركـة التجـارة، ومـن أهـم أسـبابها اتسـاع رقعـة الدولـة العثمانيـة ومـن ثـم تشـتيت قواهـا وانصرافهـا عـن بعـض الأجـزاء.

وفي مطلـع القـرن التاسـع عـشر الميـلادي تبدلـت الأوضـاع قليـلا عـلي يـد مـصر والتوسـع المـصري في السـودان، ودخـول سـواكن مرحلـة جديـدة مـن النمـو، وبـدأت فيهـا حركـة التجـارة مـرة أخـري. ويقـول الرحالـة السـويسري بروكهـاردت (1784-1817م): (أن أركان التجـارة في السـودان هـم الحـدارب، سـكان سـواكن، وهـم في الأصـل مـن حضرمـوت، ودائمـا تلتقـي جماعـة منهـم في أي مدينـة بالسـودان، فتراهـم ببضائعهـم في بربـر وكسـلا وشـندي وسـنار والأبيـض والفـاشر. وفي أثنـاء اقامتـي في شـندي شـاهدت قافلتـين قامتـا منهـا الي سـواكن، والتـي وصلـت منهـا قافلـة كبـيرة جـدا) (بروكهاردت:المصـدر المذكـور:221). كل ذلـك يـدل عـلي نشـاط وضخامـة التجـارة في سـواكن منـذ القـدم.

ومـن أهـم السـلع التـي يصدرهـا السـواكنيون لموانـئ الجزيـرة العربيـة العبيـد والتبـغ والذهـب وريـش النعـام واللبـان، والتـي تـأتي قادمـة مـن مختلـف مـدن السـودان كشـندي وبربـر وسـنار. بالاضافـة الي الجلـود والسـمن والخيـول والهجـن. ومـن أبـرز وارداتهـم البضائـع الهنديـة كالثيـاب النسـائية والحـلي والأواني المنزليـة وشـتي أنـواع الطعـام مثـل السـكر والـبن والبصـل والبلـح والحديد..الـخ (حميدة:المصـدر المذكـور:210). وكان يتـم التعامـل في الصفقـات الصغـيرة بالـذرة، ومـن أشـهر عملاتهـم الريـال.

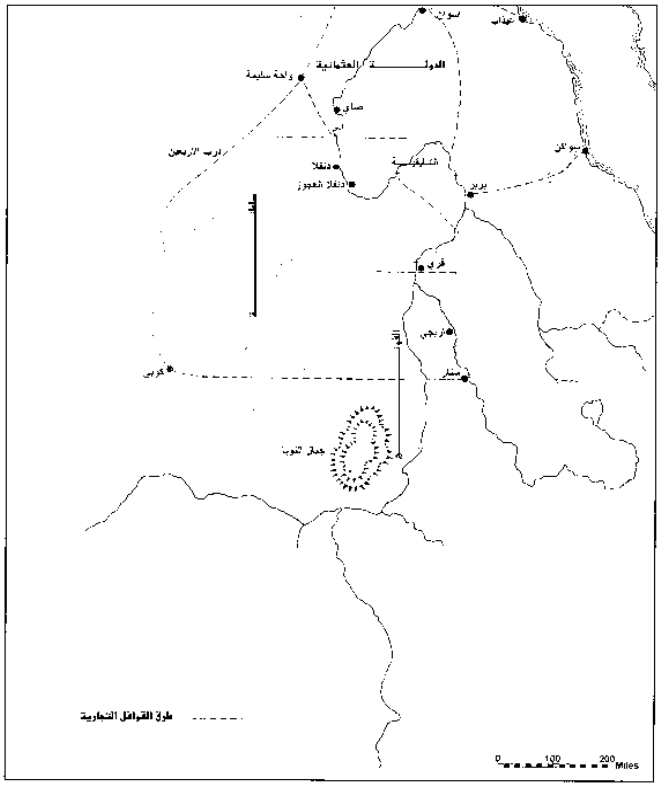

خريطة رقم (7)

أهم الطـرق التجاريــة

وقـد عـرف العثمانيـين في سـواكن نظـام الالتـزام، فقـد كانـت الدولـة تعهـد إلى شـخص مـن ذوى النفـوذ والـثراء -عـادة مـا يكـون الحاكـم (الموظـف) - الـذي يكـون لـه حـق جبايـة الضرائـب المربوطـة (المكـوس) عـلى التجـارة المقـررة عـلى التجـار لمدة زمنيـة محـددة - وكان يطلـق عـلى هـذا الشـخص «الملتـزم» وعليـه أن يدفـع مـن المـال مـا يعـادل ضريبـة سـنة. وكان يدفـع لخزانـة الدولـة في جـدة 32ريـال مقابـل هـذا الامتيـاز، كـما ويجبـي الضرائـب عـلي الـواردات مثـل سـلع الهنـد التـي ترسـل الي السـودان وكذلـك عـلي السـلع الـواردة منـه والتـي مـن أهمهـا العبيـد والتبـغ والخيـل (بركهاردت:المصـدر المذكـور:345).

وكـما ذكرنـا سـابقا بـأن أهـم وحـدة اداريـة في الادارة العثمانيـة هـي اللـواء، ذلـك لعـدة أسـباب: منهـا كان يقـع اعـداد وتنظيـم دفاتـر التحريـر عـلي أسـاس اللـواء، حيـث كان العثمانيـين يقومـون بتسـجيل الأراضي والعقـارات وتعـداد لسـكان المنطقـة التـي تدخـل في

ادارتهم حديثا. والهدف من هذا الاجراء هو معرفة الملامح الاقتصادية لهذه المنطقة، ومعرفة سكانها وبذلك تقوم الدولة برسم سياساتها الاقتصادية نحو المنطقة المعنية. لكن الي الان لم يتم العثور علي أي دفتر من دفاتر التحرير لمدينة سواكن في الأرشيف العثماني، لذا نجد أن الصورة غير مكتملة بالنسبة للوضع الاقتصادي والاجتماعي الخاص بمدينة سواكن (أنعم:المصدر المذكور:149).

النظام الديني في شرق السودان (سواكن):

نجد أن الطابع الديني وعمقه في الدولة نتج من حرصها على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية تطبيقاً صارماً من ناحية وعلى المحافظة على التقاليد الإسلامية من ناحية أخرى.

هذا الطابع مارسته الدولة في معظم الأقاليم التي تم فتحها، وفي سواكن علي سواحل البحر الأحمر فهذا غير موجود، أو أنها لم تهتم بتطبيق هذه المبادئ ولا حتى المحافظة على هذه التقاليد الإسلامية بل همها الشاغل هو الضرائب التي فرضتها الدولة على الإقليم فقط واستغلال موارده الاقتصادية من تجارة وجباية المكوس وغيرها كما فعلته في شمال السودان، وكما هو معلوم بأن منطقة الشرق وخاصة سواكن كانت البوابة الرئيسية لدخول الاسلام بلاد السودان خاصة من بلاد الحجاز. لكن لقلة الدراسات وانعدام الوثائق والمخطوطات (خاصة العثمانية) عن انتشار الاسلام في المنطقة وفي تلك الفترة حال من معرفة الكثير عنها. لكن هنالك بعض من الدلائل الاثارية والتي تشير الي وجود الاسلام منتشرا في منطقة شرق السودان ومن أزمان بعيدة، علي سبيل المثال وجود جاليات اسلامية في خور نبت الواقعة علي مسافة 70 ميل غرب سواكن، اذ عثر علي شواهد قبور عربية يرجع تاريخها الي منتصف القرن الثامن الميلادي (760م)، كما ودل البحث الاثري كذلك علي وجود مسجد في سنكات يرجع تاريخ بنائه الي عام 831م (مسعد:المصدر المذكور:118)، كل هذا يمثل وواضحا الدليل المادي لوجود الاسلام في المنطقة. كذلك من مظاهر الطابع الديني والذي نجده في الدولة العثمانية ومن مهامها العناية الفائقة التي أبداها السلاطين بإنشاء العديد من المساجد الكبرى والتي غدت رمزاً مجسداً للفن المعماري، وقد قام تنافس بينهم من أجل إقامة المساجد بين السلاطين وليس هذا التنافس بحاجة ملحة إليه بقدر ما كان الهدف هو اكتساب قلوب الشعب عن طريق العاطفة الدينية والروحية. وكانت هذه السياسة المتبعة من قبل السلاطين والتي امتدت إلى ولايات عثمانية أخري منها مصر. ومن الملاحظ محاولة اتباع هذه السياسة في سواكن، فقد وجد مسجد واحد تابع للعثمانيين، فقد بناه السلطان العثماني لأهل القيف لاقامة شعائر الدين الاسلامي

والسنة النبوية فيه وهو المسجد المجيدي، الي جانبه يوجد المسجد الحنفي والذي ربما بناه أيضا العثمانيين لأننا كما نعلم بأنهم كانوا يدينون بالاسلام علي المذهب الحنفي، وليس هنالك ما يشير الي تاريخ بناء المسجد الحنفي هذا والي من ينسب ومن الذي قام بانشائه؟ لكن الأمر يحتاج الي مزيد من الدراسات المتخصصة. الي جانب ذلك نجد في سواكن عدد من المساجد أشهرها وأكبرها وأكثرها زخرفة وجمالا المسجد الشافعي والذي كما يقال بنته الملكة شجرة الدر سلطانة مصر زمن المماليك، وقد رممه محمد علي باشا كما هو مدون في أعلي محرابه. بالاضافة الي مسجد تاج السر الميرغني الذي بناه في العام1890م ومسجد الشناوي. ويذكر بروكهاردت أثناء زيارته لسواكن واصفا حال أهلها في بخصوص معرفتهم بالدين (فبدو القيف ليسوا أكثر من بدو الصحراء احتفالا بدينهم، ولو تحريت مدي علمهم به لما وجدت بينهم من يعرف كيف يصلي الفريضة الا القليلين، بل أنهم) فيما روي لي (قل أن يصوموا رمضان، أما في المدينة فالقوم يدققون في القيام بالفرائض). هذا حال أهل سواكن حينما وصفهم الرحالة بروكهاردت، لكن يبدو أنه كان متحامل عليهم بعض الشئ. وخير دليل هو انتشار الاسلام في المنطقة منذ أزمان بعيدة، كما ونجد في سواكن عدد من المساجد والتي ذكرت سابقا، ملحقة بها زوايا لتعليم الناس الشعائر الدينية بالاضافة الي عدد من الطرق الصوفية، اذ وبعد انتشار الاسلام بشرق السودان أصبحت سواكن مصدر اشعاع حضاري للمنطقة، ونجد أن الدين الاسلامي واللغة العربية وصلا الي البجا عبر سواكن. وقد كانت المساجد والخلاوي تقوم بالدور الأكبر في تعليم الناس علوم الدين والشرائع الاسلامية.

شاهد قبر – خور نبتصور رقم (35-36)مسجد سنكات

أيضاً من مظاهر الاتجاه الإسلامي في سياسة الدولة هي تشجيع التصوف بين العثمانيين، وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع، وانتشرت هذه الطرق انتشاراً واسعاً أول الأمر في آسيا الصغرى ثم انتقلت إلى معظم الأقاليم العثمانية، ولكن تغير اتجاه الدولة هذا بعد أن كثر الدجل والشعوذة. أما في سواكن فلم يتم التعرف علي طرق صوفية منذ فترات قديمة وأن الأمر يحتاج لدراسة متخصصة في هذا المجال. لكن وجدت بعضا من طرق صوفية لاحقا، وأدت هذه الطرق الصوفية دور كبير ومقدر في نشر الاسلام وتعليم الناس علوم الدين. ومن الطرق الصوفية التي وصلت الي سواكن الطريقة الختمية والتي أسسها السيد محمد عثمان (الأكبر) الميرغني(1208هـ-1268هـ/1793-1851م) حيث وفد من الحجاز وطاف ببلاد البجا، وتولي أحفاده من بعده نشر دعوته في كل أرجاء شرق السودان، وقد كان للختمية مسجد بسواكن أسسه محمد عثمان تاج السر الميرغني (1255هـ-1318هـ/1839-1900م) وكانت تدرس فيه علوم الدين. كما وانتشرت الطريقة القادرية وكان للطريقة الشاذلية المجذوبية أثر كبير في سواكن وضواحيها، كما أسس المجاذيب خلاوي كثيرة في سواكن وغيرها من البحر الأحمر، وعلي يد الشيخ الطاهر المجذوب درس الأمير عثمان دقنة (1836-1929م) وقد بايع الشيخ الطاهر عثمان دقنة عند اعلان المهدية(بدوي:المصدر المذكور:243). وقد ساهمت الطرق الصوفية في سواكن في نشر الوعي بالدين وشرائعه وسط السكان(البجا).

أما فيما يخص القضاء، فمن الملاحظ اهتمام العثمانيين به منذ الفترات الأولي من انشاء الدولة. وقد كان العثمانيين يقومون بتعيين قاض علي المنطقة التي يتم فتحها، وكانت مهمته تتمثل في الفصل في الخلافات بين الناس وتحقيق العدالة قدر الامكان. وكما نعلم بأن سواكن كانت تمثل حاضرة الايالة فمن البديهي أن تكون المحكمة فيها(أي في سواكن)، وقد كانت هذه المحكمة هي النافذة التي يصدر فيها القاضي أحكامه في الأمور الشرعية والقانونية، ومن واجباته كذلك اصدار الاحكام هذه بناءا علي المذهب الرسمي للدولة وهو المذهب الحنفي. وقد كان القاضي يتقاضي مرتبا يبلغ 130 اقجة يوميا. وكانت المدة الزمنية التي يشغلها القاضي في منصبه تتفاوت من عصر لاخر، وقد بلغت ثلاث سنوات خلال القرن السادس عشر الميلادي، لكن يمكن عدم اكمال هذه الثلاث سنوات بسبب الموت أو النقل من مكان لاخر أو للعزل نهائيا من المنصب، وقد كان عبدالوهاب افندي أول قاض علي ايالة الحبشة (أنعم:المصدر المذكور:152).

الوضع الاجتماعي في شرق السودان (سواكن):

من المعروف أن سواكن مدينة تجارية قديمة، من مدن السودان التي لها روابط مشتركة مع الحجاز والهند ومصر. كما ويربطها داخليا طرق متعددة مثل طريق بربر ومنها الي سنار وكردفان ودارفور.

ونسبة لموقعها المميز في أنها ميناء، لذا كانت مقصد لكثير من الناس (تجار- عمال..الخ) وبالتالي لكثير من الأجناس. عليه نجد أن بها خليط من الأجناس أهمها البجا(سكان المنطقة الأصليين، وبعد اختلاطهم بالعرب نجد ظهور قبائل أخري من عبابدة وبشاريين وامرأر وحلنقة وبني عامر وهدندوة) والعرب من اليمن (الحضارمة) والحجاز وعمان، بالاضافة الي المصريين والهنود والأحباش والترك.

وعندما أتت الجيوش العثمانية إلي منطقة سواكن لم تكن محض تركيب عنصري من العثمانيين فقط،بل كانت من مختلف الأجناس الأخرى حيث نجد بوسنيين وصرب ومجر. واستقر بهم المقام فيها وسمح لهم بالزواج وممارسة نشاطات الحياة الأخرى من تجارة وغيرها. وكانت هنالك سياسة اتبعتها الدولة العثمانية في آسيا الصغرى عندما بدأوا دولتهم ومنها إلى باقي الجهات الأخرى التي كانوا يحتلونها وهي تتريك الشعوب وكان هذا من أهدافهم الرئيسية، لكن هذا لم يحصل وبدأوا في الاختلاط مع السكان الأصليين وغير الأصليين ممن وجدوهم بالمنطقة، واعتقد أنهم لم ينظروا الي أنفسهم بنظرة التعالي التي كانوا يتعاملون معها في أنحاء بقاع سيطرتهم ونفوذهم خاصة في شمال السودان، بسبب أنهم وجدوا مجموعة من الأجناس الأخري والقبائل والتي يعتقد أهلها كذلك بأنهم من علية الناس كالأشراف مثلا والذين يدعون بانتماء نسبهم الي النبي (ص). وخير دليل علي ذلك ما ذكره الرحالة بروكهاردت متحدثا عن المجموعة التركية في سواكن، قائلا انهم منحدرين من الحامية التركية والتي أرسلها السلطان سليم الأول (1470-1520م) بعد أن غزا مصر وفتحها لتعسكر في سواكن، وقد لاحظ بروكهاردت انهم يتميزون بالسحنة او البشرة الافريقية وبالطبائع الافريقية كذلك، ذلك نتاج لتزاوجهم واختلاطهم بالأهالي حتي أنه يصعب التفرقة بينهم وبين الحدارية.

العمارة والفنون في شرق السودان (سواكن):

من أكثر المواضيع تعقيدا، ذلك اننا أمام منطقة تسكنها مجموعة من الأجناس المختلفة ووفدت اليها مجموعات أخري من مناطق متعددة ومتباينة ومن بيئات مختلفة زادت من تعقيدها.

لـذا ظلـت سـواكن وعـلي مـر تاريخهـا في حالـة تفاعـل مـع الأوضـاع الداخليـة في السـودان، وفي حالـة تمـازج مـع الهجـرات الوافـدة عـبر البحـر الأحمـر مـن بـلاد الحجـاز واليمـن ومـصر، بـل وحتـي مـن الـشرق الأقـصي (الهنـد والصـين). كان نتـاج هـذا التفاعـل والتلاقـح قيـام حضـارة عريقـة عـلي سـاحل البحـر الأحمـر وفي جزيـرة سـواكن، سـاهمت في تشـكيل واقـع العـمارة والفنـون في المنطقـة ككل وسـواكن عـلي وجـه الخصـوص.

العمارة العسكرية:

سـاهمت بيئـة المنطقـة ومناخهـا الرطـب بـدور كبـير في ضيـاع وفقـدان كثـير مـن المعـالم العسـكرية لهـا مـن تحصينـات وقـلاع وأسـوار تحيـط بالجزيـرة بالاضافـة الي اهمالهـا.

وتخبرنـا كتـب السـير والتاريـخ والاثـار عـن وجـود عـدد مـن القـلاع التـي تـم بناءهـا في معظـم الفـترات التاريخيـة التـي تـم احتـلال المنطقـة فيهـا، والتـي كانـت عـلي مـر السـنين مطمعـا لكثـير مـن الـدول، خاصـة التـي تكـون لهـا السـيادة عـلي المنطقـة ككل والبحـر الاحمـر عـلي وجـه الخصـوص، فنجـد ذكـر قـلاع وتحصينـات وأسـوار منـذ زمـن الممالـك المصريـة والرومـان وحتـي المسـلمين في عهـد المماليـك. أمـا في فـترة اسـتيلاء العثمانيـين عـلي سـواكن فنجـد أنهـم قامـوا ببنـاء القـلاع كالعـادة، وتحدثنـا المصـادر عـن وجـود قلعتـين صغيرتـين تـم بناءهـما في القـرن السـابع عـشر الميـلادي تهدمتـا بمـرور الزمـن، بالاضافـة الي قلعـة حنـدوب والتـي بنيـت في زمـن الدولـة المهديـة. والان كل أنـواع التحصينـات في سـواكن عبـارة عـن بوابـات رئيسـية تحيـط بالمدينـة مثـل بوابتـي غـردون وكتشـنر باشـا مـن فـترة الحكـم الثنـائي المـصري البريطـاني.

ولأهميـة سـواكن كميناء تجـاري ومنطقـة مهمـة وعالميـة في التجـارة وقـد مـر عـلي احتلالهـا عـدد مـن الـدول الكبـيرة والعظمـي، لا يعقـل أن يكـون بهـا فقـط هـذه التحصينات البسـيطة والمحـدودة، وحتـي التـي وجـدت معظمهـا متهدمـة ومهملـة.. لـذا الأمـر يحتـاج الي مزيـد مـن البحـث والتقـصي واجـراء عمليـات مسـح دقيقـة وشـاملة حـول وفي الجزيـرة وعـلي السـواحل للتعـرف عـلي المزيـد مـن القـلاع والحصـون والاسـوار بسـواكن ومـا حولهـا.

العمارة الدينية:

لم تحـظ سـواكن ببنـاء المسـاجد الضخمـة والفخمـة التـي كانـت يتنافـس عليهـا السـلاطين كـما فعلـوا في البلـدان الأخـرى التـي فتحوهـا، لكـن كذلـك لم يتـم اغفالهـا تمامـا، بـل تـم بنـاء مسـجد واحـد بهـا وهـو المسـجد المجيـدي والـذي بنـاه السـلطان العثـماني لأهل القيـف ولم تتـم دراسـة متخصصـة لعمارتـه، لكـن عمومـا بنـي مـن الحجـر فقـط ويتكـون مـن صحـن وقبلـة ومنـبر ومحـراب ورواق ودكـة للمبلـغ، ولـه ثلاثـة مداخـل وخلـوة ملحقـة

بـه ومئذنـة عـلي شـكل مثمـن. بالاضافـة الي عـدد مـن المسـاجد والخـلاوي والزوايـا الأخـري والتـي تـم بناءهـا لاحقـا داخـل الجزيـرة. ويحتـاج الامـر الي دراسـات عاجلـة ومتخصصـة حتـي لا نفقدهـا.

العمارة المدنية:

كـما هـو معلـوم بـأن سـواكن ميناء ومدينـة تجاريـة، وكان يسـكن بهـا أثريـاء القـوم مـن التجـار وبعـض مـن الأتـراك. وقـد وصفهـا قبطـان بحـري اسـترالي قائـلا (بـأن مسـاحة الجزيـرة لا يوجـد موطـأ قـدم الا وبنـي عليـه المنـازل، وعليـه فـان كل الجزيـرة هـي مدينـة، وكل المدينـة هـي جزيـرة، هـذه هـي سـواكن).

وتتكـون سـواكن مـن عـدد مـن المنـازل الكبـيرة ومـا يقـارب 600 منـزل أصغـر حجـماً وعـدد مـن المسـاجد والزوايـا وشـارع تجـارى بـه العديـد مـن المتاجـر (سـوق) وطريـق متسـع يـؤدى إلي منطقـة المحافظـة، المركـز والجـمارك . وتنقسـم مبـاني الجزيـرة إلي مجموعتـين إذ يحتـوى الجـزء الجنـوبي منهـا عـلي المنـازل التركيـة القديمـة بإسـتثناء منـزل خورشـيد باشـا، بينـما يحتـوى الجـزء الشـمالي عـلي منـازل مصريـة تـم بناؤهـا معظمهـا في نهايـة القـرن التاسـع عـشر الميـلادي. والمنطقـة المواجهـة للجزيـرة تعـرف بإسـم القيـف وتشـكل وحـدة معماريـة منفصلـة أضـاف إليهـا الكلونيـل (كتشـنر) العديـد مـن التحصينـات في التسـعينات مـن القـرن التاسـع عـشر الميـلادي. وهنالـك الكثـير مـن مبـاني ذلـك القـرن في تلـك المنطقـة مثـل المدرسـة ذات الطابقـين، مسـاكن الشرطـة، السـجن، بقايـا منشـآت الخـط الحديـدى القديـم بـين سـواكن وبربـر والقبـاب كقبـة الشـيخ أبـو الفتـح ومدافـن سـت فاطمـة والشـيخ غريـب. ويمكـن الوصـول للجزيـرة للـبر عـن طريـق الرصيـف الـذى بنـاه الجـنرال (غـردون) في عـام 1877م، بالاضافـة لصهاريـج الميـاه والتـي اقيمـت لحفـظ ميـاه الامطـار. وقـد كان سـكان المدينـة مـن أثريـاء التجـار الذيـن قدمـوا مـن جـدة، اليمـن، عـدن، حضرمـوت، أثيوبيـا، أرتريـا، الهنـد، مـصر، سـوريا.

المنـــازل:

كانـت سـواكن تتكـون مـن عـدة منـازل مـن طابـق وطابقـين، وقـد قدرهـا بروكهـاردت اثنـاء زيارتـه المنطقـة قائـلا: (سـتمائة بيـت، ثلثهـا متهـدم لأن قوالـب عـرق اللؤلـؤ التـي بنيـت بهـا سريعـة البـلي، اذا لم يتعهدهـا القـوم بالترميـم المسـتمر) (بروكهاردت:المصـدر المذكـور:342).

وتنقسـم المنـازل الي قسـمين، الأول: وهـو التقليـدي ويتكـون مـن طابـق واحـد، يضـم غرفتـين أو ثـلاث غـرف، ويتكـون المنـزل مـن قسـمين، قسـم للعائلـة واخـر للضيـوف. أمـا

النـوع الثـاني يتكـون مـن طابقـين أو أكـثر، ولـه غرفـة اسـتقبال كبـيرة وغرفـة صغـيرة وحـمام وديـوان (السـلملك- أي مـكان الرجـال). وهنـا نجـد التاثـير العثـماني خاصـة وأن هنالـك طابـق للعائلـة يحتـوي عـلي الحرملـك (أي مـكان الحريـم) حيـث يتكـون مـن عـدد مـن الأجنحـة، وغرفـة للجلـوس (المجلـس). ومـن الملاحـظ أن الطوابـق العليـا للمنـازل تتصـل مـع بعضهـا البعـض لتسـهيل عمليـة خـروج النسـاء مـن دون اللجـؤ الي الشـارع، وهـذا أيضـا نجـده نظـام عثـماني اسـلامي، وقـد وجـد مثلـه في ابريـم وصـاي (في الشـمال). ومـن ملامـح التـمازج الثقـافي مـا بـين سـواكن والهنـد وبـيرو والانديـز هـو مـا يعـرف بالروشـان، حيـث تصنـع مـن الأخشـاب التـي تسـتورد مـن منطقـة جـاوة شرق الانديـز، وهـو ظاهـرة (الروشـان) معروفـة في جنـوبي اسـبانيا ومالطـا ومصـوع والصومـال.

الفنــون:

تزخـر سـواكن بأنـواع كثـيرة مـن الفنـون والزخـارف الاسـلامية، تمثـل أكثرهـا في المنـازل والمسـاجد، حيـث نجـد الزخـارف والرسـومات النباتيـة والهندسـية عـلي أسـطح المبـاني التـي غطيـت بالجـص، بالاضافـة الي أنـواع الأبـواب والشـبابيك والأرفـف والدواليـب التـي صنعـت مـن نـوع خـاص مـن الأخشـاب التـي تتحمـل الرطوبـة.

خاتمــة :

لم يتـم التعامـل مـع الآثـار العثمانيـة فى السـودان بصـوره جديـة وربمـا يكـون السـبب عـدم وجـود دراسـات كاملـة عـن تلـك الفـترة، خاصـة أن التركيـز كان عـلي قيـام دولـة الفونـج باعتبارهـا أكـبر كيـان سـياسي إسـلامي تظهـر في السـودان.

كـما وأن قلـة المعلومـات عـن السـكان والنشـاطات التجاريـة وأماكـن الاسـتيطان وغيرهـا مـن الأسـباب التـي صعبـت عمليـة إعـادة بنـاء الأنمـاط الاجتماعيـة والاقتصاديـة والديموغرافيـه للمناطـق المختلفـة خاصـة المحتلـة مـن قبـل العثمانيـين.

وعـلى الرغـم مـن ذلـك ومـن خـلال الدراسـات التـي تمـت فى مناطـق شـمال السـودان (إبريـم – صـاى - المحـس) إلي جانـب سـواكن فى شرق السـودان وعـلى الرغـم مـن قلتهـا إلا أنهـا تـدل وبمـا لا يـدع مجـالاً للشـك عـن وجـود فعـلى ومكثـف للعثمانيـين فى السـودان فى تلـك المناطـق خـلال تلـك الفـترة. وهكـذا يتضـح مـن الدلائـل التاريخيـة والآثاريـه أن العثمانيـين دخلـوا السـودان مـن القـرن السـادس عـشر الميـلادي وحتـى القـرن التاسـع عـشر الميـلادي، ووجودهـم الفعـلي فى المنطقـة التـي احتلوهـا والتـي أصبحـت جـزءاً مـن الخلافـة العثمانيـة الإسـلامية.

عليـه أصبحـت الفـترة العثمانيـة فى السـودان، فـترة أساسـيه فى إعـادة وفهـم التاريـخ النـوبي الإسـلامي بشـكل متسلسـل وبصـوره خاصـة وإعـادة وترتيـب التطـور التاريخـي فى السـودان ككل بصـوره عامـه.

الخلاصــة :

عـلي الرغـم مـن أنـه لم يتـم التعامـل مـع الآثـار العثمانيـة في السـودان بصـورة جديـة كجـزء مـن الإمبراطوريـة العثمانيـة، إلا أنـه ومـن خـلال تلـك الدراسـة والتـي تمـت في البحـر الأحمر(سـواكن) في شرق السـودانوالتي أماطـت اللثـام عـن مميـزات الآثـار العثمانيـة في المنطقـة خاصـة بعـد التحليـل لتلـك الآثـار والوصـول لتلـك المميـزات والتـي دلـت وبمـا لا يـدع مجـالاً للشـك عـن وجـود فعـلي ومكثـف للعثمانيـين في تلـك المناطـق مـن السـودان وخـلال تلـك الفـترة.

ويعتـبر هـذا البحـث أولى المحـاولات المتكاملـة لدراسـة منطقـة سـواكن خـلال تلـك الفـترة التاريخيـة الموغلـة في الغمـوض، إضافـة إلي نـدرة المراجـع وشـح المصـادر وقلـة المكتـوب عنهـا بحيـث لا تتفـاوت البضـع شـذرات أوردهـا بعـض الرحالـة خـلال زيارتهـم للمنطقـة والتـي كانـت قصـيرة وعابـرة، وبعـض الكتابـات القصـيرة التـي وردت مـن قبـل المؤرخـين، كـما وأن المنطقـة كانـت كـماً مهمـلاً لايشـار إليهـا إلا مـن خـلال كتابـات عابـرة

وغير متخصصة. لكن من خلال هذا العمل وتلك الدراسة اتضح أنها منطقة متنوعة المصادر ولها علاقات مزدهرة مع جيرانها. وقد برهنت الدراسة علي أن هنالك عدة ممالك مثل الفونج، الفور، الزغاوة، كوكا، ارقو والعثمانيين.

وقد ساهم البحث في محاولة علمية مقدرة فهم التحولات السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي اكتنفت السودان في ذلك الوقت والتاريخ، وقد توصل إلي أن الفترة من القرن السادس عشر وحتي القرن التاسع عشر الميلاديين كانت عهداً أو عصراً للتحولات الثقافية والحضارية والسياسية وهي الملمح الأول والرئيسي فيما صارت إليه بلاد السودان حيث ساهمت في تشكيل الواقع السياسي والديني والاجتماعي علي سودان اليوم.

لقد تناول البحث في محاولة جادة مظاهر التحول الثقافي والديني في المنطقة (المد الصوفي - المذهب السني) والتباين النسبي بين الشخصية السودانية المنتمية إلي ارض الشمال النوبي الإسلامي والشخصية المنتمية إلي الوسط العربي الإسلامي، والواضح أن هذا التباين ناتج من موروث دولة الفونج والتي تفتخر بالطرق الصوفية وشيوخها وبالخلوة الشعبية، وموروث الإمبراطورية العثمانية الإسلامية والتي تفتخر بالدين السني الإصلاحي. وهذا الوضع السياسي الديني جاء إلي السودان في فترة مهمة من تاريخه، وهي بعد انتهاء العصور الوسطي وقبل بداية الدولة السودانية الحديثة، وهذا يقودنا إلي أهمية هذا البحث في تأسيس الشخصية السودانية المحلية. كما أبرز استمرارية العادات والتقاليد النوبية القديمة واستمرارها، إلي جانب استمرار بعض العناصر اللغوية القديمة عند السكان الحاليين في المنطقة.

وبرهنت الدراسة علي الفائدة العظمي والتي يمكن أن يوفرها استخدام علم الآثار الوطني في إزالة الغموض عن هذه الفترة من تاريخ المنطقة و السودان ككل. وقد اثبت هذا المنهج كفاءته وبدا في مواجهة السياسات الخاطئة التي انتهجها علماء الآثار الأجانب، وتصحيحها وتفسير التغيرات الأيدلوجية (الدينية) والسكانية عبر الحركة الداخلية للثقافات التي تكون في وضع اتصال ببعضها، وهذا أهم محور في هذا المنهج.وقد أبرزت المسوحات الاثارية الثراء الاثاري من واقع وجود المخلفات في العديد من المواقع الاثارية.

كما تمكن البحث لأول مرة من رسم الإطار العام للدولة العثمانية وإبراز شخصيتها الحضارية الخاصة في المنطقة، من خلال الدراسة التي تمت فيها، عليه أصبحت الفترة العثمانية في السودان فترة أساسية في إعادة وفهم التاريخ النوبي الإسلامي وإعادة

تركيب التطور التاريخي في السودان. وحتى يتم الوصول للمعرفة الكلية والإلمام التام بفترة الوجود العثماني في السودان في تلك المناطق لابد من إجراء المزيد من الدراسات التفصيلية المتخصصة لكل هذه الأوضاع السياسية، العسكرية، الدينية، الاقتصادية والاجتماعية وإجراء عمليات تنقيب علمية دقيقة ومكثفة بها، ولابد من وضع اعتبار خاص لمعظم هذه المواقع المهددة من قبل السكان وكذلك وقوعها بالقرب من المواقع السكنية والزراعية وعلي البحر الاحمر مما يعرضها لدمار كامل ومستمر، وهذا يقود إلى اندثار معظم التفاصيل المعمارية والأدلة الأثرية الأخرى ويجعل فرص دراسة هذه التفاصيل محدودة وذات فائدة اقل إن لم يتم الإسراع وبأسرع فرصة ممكنة لدراستها قبل أن تصل لمرحلة الدمار الكامل.

موقف دراسات الاثار العثمانية:

كان للامبراطورية العثمانية تاثيرا واضحا في تاريخ العالم بصورة عامة وتاريخ الشرق الأدني والبلقان علي وجه الخصوص. وبالاشارة الي منطقة الشرق الأدني وتاسيسا علي ما نجده في كتب الاثاريين فمن الصعب ملاحظة وجود هذه الامبراطورية في هذه المنطقة، فمعظم أحاديث الاثاريين تتركز في الماضي الزاهر للمنطقة، ويعني بذلك فترات العصور البرونزية وامبراطوريات عصر الحديد بالاضافة الي الحضارات الكلاسيكية الاغريقية والرومانية والبيزنطية. وحتي الفترات الاسلامية والتي بلغت عصور ازدهارها في هذه المنطقة اقتصرت الدراسات فيها علي بدايات الاسلام، وحالما نصل أعتاب الحاضر يتوقف البحث (Baram & Carroll:2000:4).

وبصورة عامة وكما هو الحال في الاثار الاسلامية، وما زالت مسألة المسميات تثير الجدل، هل هي الاثار الاسلامية (Archaeology Islamic) أم علم اثار الاسلام (The Archaeological of Islam)؟ خاصة ان الاسلام له مظاهر مختلفة في المناطق جنوب الصحراء، أي المناطق التي كانت علي هامش الاسلام، والتي تختلف في مخلفاتها المادية عن المناطق التي حكمت بالخلافة الاسلامية. وعند الالتفات لدراسة الاثار العثمانية يظهر السؤال هل هو علم اثار الفترة العثمانية (Ottoman Archaeology). وبالرغم من أن الفرق بسيط الا أنه ذو مدلول هام، فالأول يتحدث عن علم الاثار الذي يفحص الشعوب التي عاشت خلال تلك الفترة، وهذا لا يعني أن يتم تجاهل التاريخ المحلي لهذه المناطق، ولا تعني كذلك أن الاثاريين يستخدمون الامبراطورية كوحدة للتحليل، بل يعني تقديم معلومات عن التطورات المحلية والاجتماعية في ظل تلك الامبراطورية وهو أكثر شمولية لأنه يقدم السياق السياسي والاقتصادي للدراسة،

ويؤدي الي فهمأعمال الامبراطورية كجزء مكمل لتطور الثقافات المحلية، وبما أن تحديات اجراء دراسات اثارية للامبراطوريات يتطلب تعاون وجهود تخصصات مختلفة فان هذا ينطبق علي الاثار العثمانية(Sinopoli:1995:4).

ان الحدود التي تعزل الفترة العثمانية من الماضي الاثاري ليست زمانية فقط، بل جغرافية وفكرية، فما هي العوائق التي منعت تطور حقل علم الاثار العثمانية؟:

1. الترويج للامبراطورية العثمانية باعتبارها فترة انحطاط وتدهور من قبل العلماء الغربيين وبعض الشعوب التي تعيش في الاقاليم التي حكمت يوما بواسطتها.
2. علم الاثار في هذه المنطقة تعوقه العقائد السياسية المعاصرة، فالحدود الجغرافية السياسية وتوترات الحاضر تغطي علي تجارب عامة كثيرة للمجموعات التي عاشت تحت الامبراطورية.
3. كما أن خلق القوميات الوطنية في معظم الأجزاء يقوم علي فكرة الجذور القديمة للمجموعات التي تعيش في هذه الأقاليم وليس في الماضي القريب. وبالتالي فقد تاثرت حتي المتاحف في المناطق التي حكمت بالخلافة العثمانية في أطراف أوروبا، والتي قامت بمتابعة اثار العصور القديمة بدلا من تطوير اثار فترة محتقرة.

اتفقت معظم الدراسات علي أن دراسة علم الاثار العثماني تتضمن مناهج علم الاثار التاريخي، علم الاثار العثمانية، علم الاثار الحية، بالاضافة الي جميع الدراسات الخاصة بمنطقة الشرق الادني.

وتحت هذا الوضع فان هنالك عدد قليل من الاثاريين اتجه نحو الكشف عن الفترة العثمانية وهم الذين اعتبروها فترة ذهبية جديرة بالدراسة المستمرة، فقد نجحت الدراسات الاثارية للماضي القريب في أجزاء أخري من العالم مثل امريكا الشمالية وبريطانيا، بينما هذا الماضي في الشرق الأدني وشمال افريقيا والبلقان لم ينل حظه من الدراسة، مما أدي الي خلق حاجز وهمي يفصل بين الماضي والحاضر. وبالرغم من ذلك الا أن هنالك تزايدا في أعداد الاثاريين والمؤرخين ومؤرخي الفنون الذين ساعدوا ودافعوا عن علم الاثار العثمانية خلال العقدين الاخيرين من القرن العشرين أمثال (Kohl:1989) و (Davies:1989) و (Hayes:1996). وقد نادي بعضهم لملء الفجوة التي تفصل الماضي من الحاضر، واخرين وقفوا ضد فكرةأن الامبراطورية العثمانية كانت فترة راكدة وسلبية، وفترة استعمار مثل(Kohl:1989). كما امل اخرون

في استخدام علم الاثار للماضي الحديث وذلك من أجل فهم التطورات التاريخية للشرق الأوسط الحالي (Davies:1991). كما نجد هنالك بعض الاثاريين الذين عثروا علي لقي أثرية عثمانية في مواقع ذات طبقات متعددة، وقد أدركوا أن هذه الأدوات ذات أهمية لدرجة أنهم قاموا بوصفها وتصنيفها (Hayes:1992). ومهما كان الدافع فمن الواضح أنه منذ ثمانينات القرن العشرين ركزت العديد من الدراسات الاثارية في الفترة العثمانية والتي كانت جزءا مكملا للمواد التي جمعها الاثاريين من قبل مثل (Weigand:1925).

وبصورة عامة هنالك ثلاثة من ركائز البحث الاثاري التي يجب الانتباه لها وهي التجارة ونظام المعيشة والعقيدة، والتي توضح التفاعل بين الدولة وهيئاتها الادارية والأقاليم المختلفة خلال تلك الفترة، فالدراسات التقليدية تتحدث عن السلاطين وانجازات البلاط بصورة عامة، في حين أن بعض الدراسات مثل دراسة الطعام فانها تعني أكثر من المعني العام وهو أن نتعرف علي ما يأكله الناس، فنظام الحصول علي الطعام والتبصر في استغلال الانسان للبيئة هي من النواحي التي تساعد خاصة في دراسة المناطق الهامشية والأرياف.

موقف دراسة الآثار العثمانية في السودان:

عاني السودان كثير من الاهمال والمشاكل التي واجهت دراسة الاثار الاسلامية بصورة عامة والاثار العثمانية علي وجه الخصوص، خاصة وكما ذكرنا بان الاسلام له مظاهر مختلفة في المناطق جنوب الصحراء والتي تختلف في مخلفاتها المادية عن المناطق التي حكمت بالخلافة الاسلامية، والتي تعتبر ضمن المناطق الهامشية والتي تقع في الظل بالنسبة للامبراطورية العثمانية.

وما كتب عن تلك الفترة يعتبر قليل جدا مقارنة بباقي الفترات الأخري في السودان، وحتي الذي كتب من قبل علماء التاريخ أو الاثار يعتبر اشارات بسيطة وعرضية ويتخللها كثير من عدم الدقة والتفصيل، فمثلا معظم ما كتب عن تلكم الفترة كان عن الوجود العثماني في سواكن (شرق السودان) وامتدادهم علي وادي النيل حتي ابريم وصاي ولا يتم ذكر لمنطقة الشلال الثالث (المحس) البتة.

علي كل، فمنذ احتلال العثمانيين لسواكن 1557م وضمها لسنجوقية الحبش، ثم تقدم الجيوش جنوبا بسبب ضغط الفونج وحلفائهم، تقدمت الحدود الي منطقة الشلال الثاني في الستينات من القرن السادس عشر الميلادي وكان قصر ابريم هو الموقع الدفاعي الرئيسي وقاعدة حدودية هامة. وفي 1583م حدث تغير رئيسي وهام في

سياسة التوسع العثماني علي الحدود، ذلك بسبب فشلهم في الشرق وانتهاء سنجوقية الحبش، وكانت سياستهم التقدم الي الأمام لغزو الفونج، حيث تقدمت قوة غير عادية الي منطقة الشلال الثالث وفصلت الحدود في حنك، وضمت الأراضي الجديدة الي ايلات (ولاية) ابريم واعتبرت كسنجوقية جديدة، فأصبحت ابريم تتالف من ثلاث سنجوقيات تمتد من جرجا الي صاي، وأصبح الحصن في صاي من أهم الدفاعات الحدودية، كما أصبح الحصن في اقليم المحس سنجقا منفصلا ولكن لفترة محدودة 1584-1585م. ومنطقة المحس (الشلال الثالث) تمثل لغزا، فالسجلات التاريخية تشير الي وجود الملوك جنبا الي جنب مع الحكام الأتراك بالرغم من معرفتنا بأن المنطقة متحالفة مع الفونج، كما ورد أن حكام المحس كانوا نوابا لملوك الفونج.

أما فيما يخص الحملات العثمانية في المنطقة فلدينا تفاصيل قليلة جدا، وكذلك طبيعة التحكم العثماني جنوب جزيرة صاي، فقد ذكرت روايات(Orhunlu) التي لخصها (Menage:op:cit:151) الي الاستيلاء علي قلعة سيسة والي موت الملك سعيد. كما نجد هنالك اشارة الي الرحالة الفينيسي الذي زار الدر في عام 1589م والذي سمع عن هذه الحملة والتي كما أشار لم تكن ناجحة، حيث واجه العثمانيين مشاكل عديدة في منطقة (الشلالات) خاصة الشلال الثالث والتي خسروا فيها العديد من السفن، وبالتالي فان وضع اقليم المحس بعد هذه الحملة ليس واضحا، واذا كانت الحامية الرئيسية قد اقيمت في صاي فهذا لا يستبعد التحكم العثماني المباشر أو الغير مباشر علي المناطق الي الجنوب، ويبدو أن التاثير العثماني كان موجودا وربما كان متنوعا طيلة القرنين ونصف، مع وجود الادارة بواسطة الكشاف في منطقة السكوت والي الشمال، فاننا نتوقع أن صفوة اقليم المحس كانت لهم علاقة بها وربما كانت جزءا منها.

ومن خلال ما تحصلنا عليه من معرفتنا بادارة الكشاف في القرون الاخيرة يبدو أن صفوة اقليم كوكا علي سبيل المثال قد ارتبطوا بالزواج مع هؤلاء الكشاف، وفي أوقات عديدة كانوا مرتبطين بالادارة العثمانية في المنطقة (Soghayroun:op:cit:53)، ومن هنا يبدو أن مزيد من الدراسة في منطقة كوكا قد تعطينا معلومات اكثر خاصة التاريخ الشفاهي لملوك كوكا، وكذلك العمل في المواقع الأخري قد يلقي الضؤ علي مدي انتشار النفوذ العثماني في المنطقة.

تناول البحث مظاهر التحول الثقافي والديني في المنطقة (المد الصوفي-المذهب السني) والتباين النسبي بين الشخصية السودانية المنتمية الي ارض الشمال النوبي

الاسلامي والشخصية المنتمية الي الوسط العربي الاسلامي، والواضح ان هذا التباين ناتج من موروث دولة الفونج والتي تفتخر بالطرق الصوفية وشيوخها وبالخلوة الشعبية، وموروث الامبراطورية العثمانية الاسلامية والتي تفتخر بالدين السني الاصلاحي. وهذا الوضع السياسي الديني جاء الي السودان في فترة مهمة من تاريخه، وهي بعد انتهاء العصور الوسطي وقبل بداية الدولة السودانية الحديثة، وهذا يقودنا الي أهمية هذا البحث في تاسيس الشخصية السودانية المحلية. كما أبرز استمرارية العادات والتقاليد النوبية القديمة واستمرارها، الي جانب استمرار بعض العناصر اللغوية القديمة عند السكان الحاليين في المنطقة.

برهنت الدراسة علي الفائدة العظمي والتي يمكن أن يوفرها استخدام علم الاثار الوطني في ازالة الغموض عن هذه الفترة من تاريخ المنطقة والسودان ككل. وقد أثبت هذا المنهج كفاءته وبدأ في مواجهة السياسات الخاطئة التي انتهجها علماء الاثار الأجانب، وتصحيحها وتفسير التغيرات الايدولوجية والسكانية عبر الحركة الداخلية للثقافات التي تكون في وضع اتصال ببعضها، وهذا أهم محور في هذا المنهج.

وقد هدف البحث لرسم الاطار العام للدولة العثمانية وابراز شخصيتها الحضارية الخاصة في المنطقة من خلال الدراسة التي تمت فيها، عليه أصبحت الفترة العثمانية في السودان فترة أساسية في اعادة وفهم التاريخ النوبي الاسلامي واعادة تركيب التطور التاريخي في السودان.

استشراق المستقبل:

وحتي يتم الوصول للمعرفة الكلية والالمام التام بفترة الوجود العثماني في السودان لابد من اجراء المزيد من الدراسات التفصيلية المتخصصة لكل هذه الاوضاع السياسية، العسكرية، الدينية، الاقتصادية والاجتماعية واجراء عمليات تنقيب علمية دقيقة ومكثفة بها، ولا بد من وضع اعتبار خاص لمعظم هذه المواقع المهددة من قبل السكان وكذلك وقوعها بالقرب من المواقع السكنية والزراعية وفيضان النيل والبحر الأحمر مما يعرضها لدمار كامل ومستمر، والذي يقود الي اندثار معظم التفاصيل المعمارية والأدلة الأثرية الأخري ويجعل فرص دراسة هذه التفاصيل محدودة وذات فائدة أقل ان لم يتم الاسراع وبأسرع فرصة ممكنة لدراستها قبل أن تصل لمرحلة الدمار الكامل (خاصة المواقع النيلية).

كما يجب الاهتمام بمنطقة شمال السودان (ابريم - صاي - المحس) كجزء من الامبراطورية العثمانية وليس هي فقط بل حتي الاجزاء الشمالية منها والتي يجب اجراء

المزيد من الدراسات فيها، حيث لا نجد غير دراسة ادامز في كلبنارتي والتي لا توضح أي أثر بالوجود العثماني (Adams:op:cit:123)، بالاضافة الي الجزء الشرقي في سواكن.

أيضا يجب الانتباه الي أن السودان يقع في هامش هذه الامبراطورية، كما كان من قبل هامشا لمصر ودويلاتها لقرون، بينما بقية أجزاء السودان لم يكن في يوم من الأيام جزءا من الخلافة العثمانية، وعليه فان دراسة هذه المنطقة كجزء من الامبراطورية العثمانية يجب أن يتم بحذر لأنها منطقة هامشية، كما يجب أن تقارن مع المناطق الاخري التي كانت في هامش الامبراطورية العظيمة. والمشكلة المتوارثة والقديمة وهي أن اثار الفترات الاسلامية تهتم بدراسة المباني الضخمة المرتبطة بالصفوة، مما جعل معرفتنا قليلة جدا بالحياة العامة وهذا ينطبق علي الاثار العثمانية، فحتي الدراسات التي تمت في أصقاع الامبراطورية المختلفة كانت للقصور والمساجد الضخمة، وحتي الدراسات الخاصة بالسودان بدأت بالقلاع غير أننا نرجو وبهذه الدراسة أن نلفت الانتباه الي المباني الأخري التي تمثل هذا الوجود وان صغر حجمها، وكذلك نلفت الانتباه الي أهمية الدراسات الاجتماعية في توضيح مدي تاثير الوجود العثماني في المنطقة.

ما نحتاجه وبسرعة هو تجميع التواريخ الشفاهية والدراسات الاثنوغرافية ودراسة الثقافة المادية الحالية وفحص الوثائق التاريخية وربط كل هذا بالعمل الاثاري. والأهم من هذا كله اعادة دراسة رحلة «ايفيليا شلبي»[1] ومقارنتها مع خريطة الفاتيكان وتحديد أماكن بعض المواقع، خاصة أننا نعرف بعض من الأسماء التي وردت مثل تنري ونوري مثلا في منطقة الشلال الثالث، وبالرغم من الاشتقاقات اللغوية التي وصلنا بها لمعرفة موقع «الحفير الكبير» مثلا الا أن هنالك اشارات بأن تكون هي منطقة كجبار وذلك بقياس الزمن الذي قطعه شلبي وخاصة أنه تطابق مع ما ذكره بروكهاردت عند مروره بهذه الأماكن بعد شلبي بأكثر من قرن ونصف، ومن الأماكن الأخري (Kindi) هل هي كوكا أم كجبار و (Sindi) هل هي سمت أم منطقة حنك الحدودية وأن هنالك خطأ في نطقها، وأين يقع الحفير الصغير..الخ

أرجو أن تسهم هذه الدراسة كمحاولة علمية في فهم التحولات السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي اكتنفت السودان في ذلك الوقت، وقد اتضح الان أن الفترة من 1584-1821م كانت عهدا او عصرا للتحولات الثقافية والحضارية والسياسية وهي الملمح الأول والرئيسي فيما صار اليه بلاد السودان حيث ساهمت في تشكيل الواقع السياسي والديني والاجتماعي في سودان اليوم.

(1) ايفيليا شلبي رحالة تركي - عثماني زار السودان في العام 1671-1672م واصفا الكثير من المناطق التي مر بها خاصة في شمال السودان

المراجـــع :

أولاً:المراجع العربية:

1. البـدوي، الطاهـر احمـد – «سـواكن والعمـق الحضـاري لبـلاد السـودان» -مقـال في سـواكن، التاريـخ، الحضـارة والتفاعـلات العالميـة – مركـز التنويـر المعـرفي – الطبعـة الاولي 2013م.
2. انعـم، محمـد عثـمان – «سـواكن في العـصر العثـماني (فـترة التاسـيس)» - مقـال في سـواكن، التاريـخ، الحضـارة والتفاعـلات العالميـة – مركـز التنويـر المعـرفي – الطبعـة الاولي 2013م.
3. العراقـي، الـسر سـيد احمـد – «سـواكن في العـصر العثـماني 1520-1923م» – مقـال في سـواكن، التاريـخ، الحضـارة والتفاعـلات العالميـة – مركـز التنوير المعرفي – الطبعـة الاولي 2013م.
4. القمـر، ربيـع محمـد الحـاج «عبـد اللـه بـن أبي الـسرح لملـوك النوبـة 21هـ وأثـاره الاقتصاديـة» – مقـال في مجلـة دراسـات أفريقيـة – جامعـة أفريقيـا العالميـة – مركـز البحـوث والدراسـات الأفريقيـة –العـدد17-ص141-168- يونيو 1997م.
5. اليـاس، احمـد – «مدينـة سـواكن وقبيلـة الحداربـة في المصـادر العربيـة حتـي القـرن 9هـ/14م - مقـال في سـواكن، التاريـخ، الحضـارة والتفاعـلات العالميـة – مركـز التنويـر المعـرفي – الطبعـة الاولي 2013م.
6. حسـين، احمـد وطـه، حسـني –»الخصوصيـة الثقافيـة للميناء السـاحلي- مينـاء سـواكن نموذجـا» ورقـة قدمـت في مؤتمـر ادوماتـو – المملكـة العربيـة السـعودية-2010م.
7. حميـدة، عمـر عبداللـه – «سـواكن في رحـلات بروكهـاردت» - مقـال في سـواكن، التاريـخ، الحضـارة والتفاعـلات العالميـة – مركـز التنويـر المعـرفي – الطبعـة الاولي 2013م.
8. خليفـة1، د. ربيـع حامـد – فنـون القاهـرة في العهـد العثـماني – مكتبـة زهـراء الـشرق – 2000م.
9. بروكهاردت،جـون لويـس: رحـلات في بـلاد النوبـة1793_1817م: ترجمـة فـؤاد انـدوراس: القاهـرة: 1959م.

10. سعيد، عبدالرحمن ابراهيم – الاثار العثمانية في منطقة المحس 1584-1821م – رسالة ماجستير – قسم الاثار – جامعة الخرطوم -2005م.
11. ضرار، محمد صالح – تاريخ سواكن والبحر الأحمر – الخرطوم – بدون تاريخ.
12. عوض، محمد أحمد – السودان الشمالي، سكانه وقبائله – القاهرة – 1960م.
13. مسعد، مصطفى حمد – الإسلام والنوبة في العصور الوسطى – القاهرة – 1960م.
14. مسعد، مصطفى محمد – المكتبة العربية السودانية – القاهرة – 1972م.

3/ثانياً:المراجع غير العربية:

1. Adams, W.Y1 1977: Nubia Corridor to Africa. London.
2.
3. 1.Alexander,J.A 1996."The Turks on the Middle Nile".Archeologie du Nil Moyen.Vol.7.Lille
4. 2…… 1997."Qalat Sai:The Most Southerly Ottoman Fortress in Africa. Sudan and Nubia",SARS.No.1.PP:16-19.London.
5. 3…….. 2000.The Archaeology and History of The Ottoman Frontier in the Middle Nile Valley 911-1233AH/1504-1820AD",Adumatu.Vol.1.PP:47-61.Riyadh.
6. Baram, U. & Carrol, 1 2000: "The Future of the Ottoman Past" in Historical Archaeology of the Ottoman Empire, pp. 3-32-NY.
7. Davis, J 1991: "Contributions to a Mediterranean Rural Archaeology, Hiatorhcal Case Studiea from the Ottoman Cyclades". Journal of Mediterranean Archaeology4 (2).pp.131-216.Deetz, J.
8. Elvilya, Celebi 1938: Seyahatnamesi: Misr, Sudan, Habes: 1672-80, Istanbul.
9. Green Law, J.P 1976: The coral building of Suakin, Leeds.

10. Hayes, J. W 1992: Excavations at Sarachane in Istanbul. Volume2. The pottery. Dumbarton Oaks, Washington, D.C.
11. Kohl, ph. 1. 2000:"Diverse Approaches To the Ottoman Past" in Baram & Carrol. A Historical Archaeology of the Ottoman Empire, N.Y.
12. Bernard, L. 1968: The Emergence of Modern Turkey-Second Edition.
13. Menage, V. 1988:"The Ottoman and Nubia in the Sixteen Century" Annual Islamologiques, vol.XXIV, Cairo.
14. Mallinson. M & Metal 2009: "Ottoman Suakin 1541-1865": Last and Found". In: Peacock, A. (ed). The Frontier of Ottoman World. Oxford University Press.
15. Sinopoli, C. 1994: "The Archaeology of Empire" Annual Review of Anthropology, Bulletin of the American School of Oriental Research, pp.159-180.
16. Silberman, N.A 1989: Between Past a Present, Archaeology, Ideology, and Nationalism in the Modern Middle East, Anchor, N.Y.
17. Soghayroun, I. 1 1982: The site of Sennar, un published BA honors dissertation, Dept of Archaeology, University of Khartoum.
18. ……2 2004: Islamic Archaeology in the Sudan, BAR, CMAA, No.60. Oxford.
19. Weigand, T. 1925: Baalbek, Ergenbnisse der Ausgrabungen und Untersuchunhen in Den Jahren 1898 bis 1905, Verlage von Walter de Grunyter, Berlin.